كيف تنال
السعادة الحقيقية



فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الإيمان

إسكندرية

كيف تنال
السعادة الحقيقية

بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع

٢٠٠٧/٩١٠١

الترقيم الدولي

977/331/54/8

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

لا يختلف اثنان على أن السعادة هي مطلب الخلق في كل زمان ومكان فالبر والفاجر والمؤمن والكافر والمطيع والعاصي ... على اختلاف مشاربهم ومسالكهم ينشدون تحقيق هذا المطلب من وراء الأقوال والأفعال ، وقد افترقت الطرق بهؤلاء وأولئك ، فبينما رأى المسلم أن السعادة في رضى الله تعالى ، ومن الكتاب والسُّنَّة هو السبيل لتحقيق ذلك ، رأي آخرون أن السعادة في تعاطي المخدرات والخمور ومشاهدة الرقصة والفيلم والمسرحية وسماع الأغنية والموسيقى والوصول إلى المنصب والجاه والسلطان ولو على حساب دين الله !!!.

وسلك البعض مسلك اليهودية والنصرانية والبوذية ... وخرج آخرون باشتراكية وديمقراطية ووجودية ... ورفعت

رايات السلام العالمي والتعايش السلمي ... لتحقيق سعادة البشرية !!! .

ومع فقدان البصيرة والبعد عن منهج الله ، حاول البعض أن يرسم صورة للمدينة الفاضلة السعيدة ، وكانت مسالك التجريب على الحيوانات وغيرها، وكثرت النظريات والفلسفات والمدارس التحليلية والدراسات النفسية للوصول لهذا الهدف المنشود . وما جني هؤلاء من وراء سعيهم إلا النكد والشقاء والضياع والقلق ، فقد انتشرت الجرائم والحروب والكوارث والمحن ، وأصبح الإنسان الغربي نزيل الحانات والبارات والمصحات النفسية ، وكثرت نسب الإنتحار مع وجود الترف المادي ... ما دعا البعض إلى وصف ما يسمى بحضارة القرن العشرين بحضارة القلق .

إن طلب السعادة في غير منهج الله وهم وسراب ﴿ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)** ﴾

[النور :٣٩] .

وقال تعالى: ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ [طه : ١٢٣-١٢٦] .

إن السعادة التي ينشدها المسلم ليست عبارة عن نشوة عابرة أو لذة ساعة بل هى تمتد في نظره زماناً ومكاناً لأبد الأبدين ، ومكاناً لجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وقد علم أن ما عند الله لا يناله إلا بطاعته ، ولذلك سلك مسلك العبودية لله جل وعلا ، وكيف يبتدع ويخترع ويخالف أمر ربه ، وقد قال سبحانه : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة : ٣] .

وقال : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت

ويسلموا تسليما ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ [المائدة : ٤٩] .

وقال : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

وقال: ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [الأعراف :٥٤] .

وقال : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وقال ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء : ٥٩] .

وهل يليق بنا كمسلمين أن نتردد أو نتشكك في أمر

الله ، أو أن نأخذ شرع ربنا مأخذ التجريب ؟!!! لقد أغنانا سبحانه وكفانا ، فالقرآن هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، من عمل به أُجر ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم ، لا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا تزيغ به الأهواء ، ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ، فمن طلب الهدى والسعادة في غير شرع الله أضله الله وأشقاه جزاءً وفاقاً ، قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) ﴾ [الطلاق : ٨-٩] .

وقال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [الأنعام : ٤٤ -٤٥] .

وقال : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) ﴾ .

[الإسراء : ١٦] .

من عجيب الأمر ـ بعد ذلك ـ أن نجد بعض المسلمين قد ذهبوا يتابعون المغضوب عليهم والضالين ، ظانين أن ما هم عليه من زخرف وزينة ظاهرة ستحقق لهم السعادة وأنّى لتعيس شقي أن يورث غيره سعادة ؟!! ، وكل إناء بما فيه ينضح ، فما رجع هؤلاء إلا بنكد وخيبة ، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72) ﴾ .

[الإسراء : ٧٢] .

وقال : ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

وقال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) ﴾ [الروم : ٧] .

لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ عن هذا التقليد الأعمى وهذه الغربة الشديدة فقال : « **لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً ،**

فقيل يارسول الله: كفارس والروم؟ فقال : ومن الناس إلا أولئك » [(١)] ، وفي رواية سعيد : « **قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ »** [(٢)] .

قال ابن حجر : وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك . وفي هذا الزمن كثر في المسلمين من يتشبه بالكفار من شرقيين وغربيين فتشبه رجالنا برجالهم ونساؤنا بنسائهم ، وافتتنوا بهم حتى أدى الأمر ببعض الناس إلى الخروج عن الإسلام ، واعتقدوا أنه لا يتم لهم تقدم وحضارة إلا بنبذ كتاب الله وسُّنة نبيه ﷺ ، من عرف الإسلام الصحيح عرف ما وصل إليه المسلمون في القرون الأخيرة من بُعد عن تعاليم الإسلام وانحراف عن عقيدته ، فلم يبق عند بعضهم من الإسلام إلا اسمه ، فقد حكَّموا قوانين الكفار وابتعدوا عن عقيدته شريعة الله ، وليس هناك أبلغ مما وصف به النبي ﷺ المسلمين في اتباعهم ومحاكاتهم للكفار فقال : « **شبراً بشبراً وذراعياً بذراع**

---

(١) صحيح : رواه البخاري « ٧٣١٩ » .
(٢) صحيح : رواه البخاري ومسلم .

حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم » والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب : التمثيل بشدة الموافقة لهم ، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ هذا والفتن التي وقعت فيها الأمة – طلباً للسعادة بزعمها – ليس لها حصر ، ففتنة النساء ، وفتنة المال ، وحب الشهوات، والشهرة ، وحب السلطان ، والسيادة ، والزعامة ، كلها فتن ربما تهلك الإنسان وتعصف به إلى مهاوي الردى ، نسأل الله العافية والسلامة .

وإذا كان البعض قد انحرف طلباً لسعادة زائفة ، فإن طائفة من الأمة لا تزال ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، وهؤلاء أبصروا طريق السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة ، وفقهم الله سبحانه وسددهم وهداهم للاستقامة على كتابه وسنة نبيه ﷺ ، وجدوا أن كل خير في اتباع من سلف ، وأ ن كل شر في ابتداع من خلف ، ولذلك كان حرصهم على التمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام،

فقد ذاقوا السعادة في هذا المنهج الإيماني ، وقاموا يدلون البشرية عليه ، وجدوا أن الدنيا لا تصلح عوضاً عن الآخرة ، وأن الحياة بغير الله سراب فهتفوا : ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ﴾ [الأحقاف :٣١] . فسعادتكم ليست في المطعم والمشرب والملبس والمسكن وشهوات البطون والفروج فحسب، وليست هي في لذة ساعة وألم دهر .

يا قومنا : إن سعادتكم في الإيمان والعمل الصالح ، فهذا قول خالقكم: ﴿ من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ [النحل : ٩٧] .

وهذا وعد بارئكم ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ [التغابن : ١١] ، فلا تلتفوا لقول أحد سواه ، وأكثروا من ذكره جل وعلا، ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد: ٢٨] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

معنى السعادة

السعادة ضد الشقاوة ، والناس ينقسمون إلى شقي وسعيد ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) ﴾ .

[هود : ١٠٥-١٠٨] .

فالسعيد من وعُظ بغيره ، والشقي من شقي بقضاء الله، وقد ذكر البعض عن السعادة ، أنها الراحة النفسية والطمأنينة التي يشعر بها الإنسان في موقف من المواقف ، وهذا التعريف لا يخلو من قصور ، فالراحة النفسية قد تكون عن عبارة عن لذة ساعة وألم دهر ، والطمأنينة التي يشعر

بها الإنسان قد تكون مكذوبة وزائفة وسرعان ما تنقلب نكداً وقلقاً ، كمن يؤمن مستقبله بوضع المال في البنك الربوي !! إذ هو محارب لله ولرسوله ﷺ وماله ممحوق البركة ، ولا يأمن من ضياع المال لسبب أو لآخر فيكون قد تعلق بالوهم والسراب .

ولذلك فالسعادة التي ينشدها المسلم أعم وأشمل وأكمل مما يطلبه الناس في الشرق والغرب ، أو يحكي عنه الفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم .

انها الرضى عن الله في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وهي الفرحة التي تغمر القلب والروح حتى مع الفقر والمرض ، انها امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده ، فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى ، وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره .

قال الراغب الأصفهاني في كتابه « المفردات »

السعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير. أ هـ.

فالسعيد هو : المؤمن الموفق لفعل الخيرات وترك المنكرات ، وهو الذي أقامه سبحانه في طاعته فشكر في السراء وصبر في الضراء وعلم أن المرجع والمآب إلى الله ، فامتلأ قلبه رضي الله عنه وكان عنده من البصيرة ما جعله يطلب سعادة الدارين .

إن السعادة الحقيقية فضل من الله يؤتيه من يشاء ، وما عند الله لا نناله إلا بطاعته .

أقوال جامعة هي سبيلك لتحقيق السعادة

قال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : « قال بعض العلماء : فكرت فيما يسعى فيه العقلاء ، فرأيت سعيهم كله في مطلوب واحد ، وإن اختلفت طرقهم في تحصيله ، رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم ، فهذا بالأكل والشراب ، وهذا بالتجارة والكتب ، وهذا بالنكاح ، وهذا بسماع الغناء والأصوات المطربة ، وهذا باللهو واللعب .

فقلت : هذا المطلوب مطلوب العقلاء ، ولكن الطرق كلها غير موصلة إليه ، بل لعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده ، ولم أر في جميع هذه الطرق طريقاً موصلة إليه إلا الإقبال على الله ، ومعاملته وحده ، وإيثار مرضاته على

كل شئ ، فإنَّ سالك هذه الطريق إن فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ الغالي الذي لا فوت بحظه من الدنيا ناله على أهنأ الوجوه ، فليس للعبد أنفع من هذه الطريق ولا أوصل منها إلى لذته وبهجته وسعادته ، وبالله التوفيق » .

وقال - رحمه الله - في موضع آخر من كتابه : « وقد حكم الله تعالى حكماً لا يبدل أبداً : أن العاقبة للتقوى ، والعاقبة للمتقين ، فالقلب لوح فارغ ، والخواطر نقوش تنقش فيه ، فكيف يليق بالعاقل أن يكون نقوش لوحة ما بين كذب وغرور وخداع وأماني باطلة ، وسراب لا حقيقة له ، فأي حكمة وعلم وهدى ينتقش مع هذه النقوش ؟ » .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)** ﴾ [يونس :٦٢ ـ ٦٤] .

قال ابن القيم: « فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس

عيشاً وأنعمهم بالاً وأشرحهم صدراً ، وأسرهم قلباً ، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة » .

وقال رحمه الله: « ولا تحسب أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) ﴾ [الانفطار :١٣-١٤] ، مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط ، بل في دورهم الثلاثة ، هم كذلك أعني : دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ، فهؤلاء في نعيم ، وهؤلاء في جحيم ، وهل النعيم إلا نعيم القلب ؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب ؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله ، والدار الآخرة ، وتعلقه بغير الله ، وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ .

[الفجر : ٢٧-٣٠] .

وقال : فأطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته ، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته ، فمحبته ومعرفته قرة العيون ،

ولذة الأرواح ، وبهجة القلوب ، ونعيم الدنيا وسرورها ، بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب آلاماً وعذاباً ، ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك،فليست الحياة الطيبة إلا بالله» .

وقال : ولا شئ على الإطلاق أنفع للعبد من إقباله على الله ، واشتغاله بذكره ، وتنعمه بحبه ، وإيثاره لمرضاته ، بل لا حياة له ، ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك » .

وقال : « والأبرار في النعيم وإن اشتد بهم العيش وضاقت عليهم الدنيا ، والفجار في جحيم ، وإن اتسعت عليهم الدنيا ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ [النحل :٩٧] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾ .

[طه : ١٢٤] .

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ، ولا ريب أنه من

المعيشة الضنك والآية تتناول ما هو أعم منه ، فإنها نكرة في سياق الإثبات ، فإن عمومها من حيث المعنى ، فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره ، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه ، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، في قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب والأماني الباطلة والعذاب الحاضر مافيه ، وإنما يواريه عنه سكرات الشهوات ، والعشق وحب الدنيا ، والرياسة ، وإن لم ينضم إلى ذلك سُكر الخمر ، فسُكر هذه الأمور أعظم من سكرُ الخمر ، فإنه يضيق صاحبه ويصحو . وسكر الهوى ، وحب الدنيا لا يصحو صاحبه إلا إذا كان صاحبه في عسكر الأموات ، فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله ، الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه ، وفي البرزخ، ويوم الميعاد ، لا تقر العين ، ولا يهدأ القلب ، ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق ، وكل معبود سواه باطل .

فمن قرت عينه بالله ، قرت به كل عين ، ومن لم تقر

عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به ، وعمل صالحاً ،كما قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٩٧) ﴾ [النحل : ٩٧] . فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة ، فلهم أطيب الحياتين فهم أحياء في الدارين » .

هؤلاء هم قدوة السعداء

على ضوء ما مر بك تدرك أن الأنبياء والمرسلين هم أعظم الخلق سعادة لأنهم أعظم الخلق رضى عن الله ، وحرصاً على طاعة الله ، وطمأنينة بوعد الله ، وجهاداً في سبيل الله ، وقياماً بأمر الله في ليلهم ونهارهم ورخائهم وشدتهم ، ولذلك أمرنا سبحانه بالتآسي بهم فيما كانوا عليه من علم نافع وعمل صالح فقال: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠] ، فهذا نبي الله نوح عليه السلام يواجه قومه ويبلغهم أمر ربه، فكانوا يؤذونه ويغمى عليه، فإذا أفاق قال لهم: ﴿ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [المؤمنون :٢٣] ، أدماه قومه وهو يدعوهم فقال : « رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، وفي النهاية ما آمن معه إلا قليل ، ثم دعا ربه فقال: ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) ﴾ [القمر:١٠] ،

فأقر الله عينه ، ونصره سبحانه نصراً عزيزاً مؤزراً ، ولم ينج من الطوفان إلا أصحاب السفينة .

ونبي الله إبراهيم عليه السلام يهدده والده ويتوعده فيقول : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) ﴾ [مريم : ٤٧-٤٨]، وقال : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) ﴾ [الصافات : ٩٩] ، وأُمِرَ بترك هاجر وولده الوحيد إسماعيل في بلد الله الحرام ، فامتثل واعلم أن الله لا يضيع أولياءه ، ثم أُمر بذبح ولده إسماعيل فما تخلف، ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) ﴾ [الصافات : ١٠٢-١٠٧] ، ثم واجه قومه والنمرود ودعاهم إلى الله فما لانت قناته ولا ضعفت عزيمته ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) ﴾ [النحل : ١٢٠] ، وقال عنه

سبحانه : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) ﴾ [هود : ٧٥] ، وتوجه نبي الله موسى عليه السلام بالدعوة إلى فرعون ، وكان قد ادَّعى الربوبية والألوهية مع الله ، فحاوره وناظره وظهرت حجة نبي الله موسى عليه السلام ، فما كان من فرعون إلا أن تبع موسي ومن معه بغياً وعدواً ، فقالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) ﴾ ، قال : ﴿ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾ [الشعراء : ٦١- ٦٢] ، كلمة الواثق المطمئن بوعد الله ومعية الإحاطة والتوفيق والتسديد، وأهلك الله فرعون وجنده وأورث بني اسرائيل أرضهم وديارهم .

وقد أُبتلى نبي الله أيوب في جسده ، فما تحول قلبه عن الله ، بل كان صابراً محتسباً دائم الذكر لربه ، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) ﴾ [الأنبياء : ٨٣-٨٤] ، وانتقل نبي الله يوسف عليه السلام من محنة الجب إلى فتنة القصر ، ثم أدخلوه السجن على الرغم من ظهور

براءته ، وخرج من السجن ليتقلد زمام المالية في مصر، فكان نعم العبد،راضياً عن الله في كل آن وحين،وإلا فماذا تصنع الفتنة في عبد توكل على الله وأناب إليه ودخل من باب ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾ [يوسف: ٢٣] ، لا يقبل المساومة على طاعة لربه، بل يقول : ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** ﴾ [يوسف : ٣٣]، وما شغله الملك عن إسلامه ودينه فقلبه معلق بالله يدعوه سبحانه ويقول : ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)** ﴾ [يوسف: ١٠١]، وكان سيد الأولين والآخرين وأُسوة الخلق أجمعين ، وأعظم البشر تأييداً وتوفيقاً وتسديداً ، أسعد الناس حقاً ، يؤذى ﷺ فيقول : « **ربي اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** » (١) ويقول : « **أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً** » (٢)، وكان منه الصفح

---

(١) صحيح : البخاري « ٣٤٧٧ » .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم « ١٧٩٩ » وغيره .

عمن آذاه عام الفتح ، فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم بعد اليوم، يقوم الليل يصلي حتى تتورم قدماه الشريفتان ، فإذا قيل له في ذلك ، قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** »(١) ، وقد غُفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر فإذا حزبه أمر قال : « **يا بلال أقم الصلاة ، أرضنا بها** »(٢) ، وكان يقول : « **جعلت قرة عيني في الصلاة** »(٣) ، فأقواله وأفعاله ﷺ قدوة كل سعيد ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾[الأحزاب : ٢١] .

---

(١) صحيح : متفق عليه البخاري « ١١٣٠ » ، ومسلم « ٢٨١٩ » .
(٢) صحيح : أخرجه أبو داود « ٤٩٥٨ » كتاب الأدب وصححه الألباني وصحيح الجامع « ٧٨٩٢ ».
(٣) صحيح : رواه النسائي « ٣٩٤٠ » ، وأحمد « ١٣٦٢٣ » وصححه الألباني في صحيح الجامع « ٣١٢٤ » .

سعداء على الدرب يسيرون

أتى صاحب يس من أقصى المدينة يسعى ، أراد أن يجدد دعوة المرسلين ، وكان قد شاهد مصرعهم فقال : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ⦗٢٠⦘ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ⦗٢١⦘ وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ⦗٢٢⦘ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ ⦗٢٣⦘ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ⦗٢٤⦘ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ⦗٢٥⦘ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ⦗٢٦⦘ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ⦗٢٧⦘ ﴾[يس:٢٠-٢٧] ، فهان أمر القوم على الله بعد مصرع صاحب يس، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ⦗٢٨⦘ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ⦗٢٩⦘ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[يس: ٢٨

ـ ٣٠]، فهل سعد القوم بكفرهم ؟! ، وهل شقي صاحب يس بطاعته لله تعالى ؟! .

وتذكر كتب التفسير أن أصحاب الكهف كانوا فتية آمنوا بربهم وكانوا أولاد أمراء ، فآثروا ما عند الله على متاع الدنيا الزائل ، فدخلوا الكهف المظلم فارين بدينهم وقالوا : ﴿ **هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥)** ﴾ [الكهف: ١٥] ولحقهم الكلب فكان له ذكر وخبر ، وهذا شأن من صاحب الصالحين لا يشقى بهم، وقد عدَّد سبحانه أنواع الكرامات التي امتن بها على أصحاب الكهف فقال : ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف : ١٣] ، وقال : ﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ﴾ [الكهف : ١٧] ، وقال : ﴿ **فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)** ﴾ [الكهف : ١١] ، وقال : ﴿ **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ**

سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) ﴾ [الكهف : ٢٥] ، لقد سعد الفتية في كهفهم المظلم واستعلوا بإيمانهم على حياة القصور وعلى دنيا أشبه بسجن ضيق أظلمه أهله بالكفر بخالق الأرض والسموات .

وذكر لنا كتاب ربنا قصة مؤمن آل فرعون ومحاورة المؤمن الفقير لأخيه الكافر صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف ، كما قص علينا رسول الله ﷺ قصة عبد الله الغلام الذي دفعه الملك إلى الساحر لتعلم صنعة السحر ، فكان يختلف إلى الراهب وكيف أنه كان مجاب الدعوة وجرت على يديه الكرامات على حداثة سنه ، ثم كيف كان موته آية ، فقد دل الملك على طريقة موته ، فلما وقع السهم في صدغه نطق الناس « آمنا بالله رب الغلام » فأسقط في يد الملك الطاغية ، وقيل له وقع بك ما كنت تحذر فقد آمن الناس جميعاً ، ثم حفر الأخدود وأضرم فيه النيران وعرض عليه كل من آمن بالله ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) ﴾ [البروج : ٨] ،

وهكذا الباطل في كل عصر ووقت لا يملك إلا سلاح البطش ولا حجة له ، فهو لجلج ثم هذا الغلام وجدوه زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويده على صدغه على النحو الذي مات عليه – وذلك بعد مئات السنين – كلما أزاحوا يده انبثق الدم من جرحه – هؤلاء نفر آمنوا بربهم تحيا وتسعد بذكرهم القلوب – إنها الحياة الحقيقية ، وإلا فالبعض أشبه بميت الأحياء .

وعلى الدرب سار الصحابة – رضي الله عنهم – فسعدوا وسعدت بهم الدنيا ، وغيّر بهم سبحانه وجه الأرض ، ذاقوا حلاوة الإيمان لما رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً. ومن هؤلاء الأفاضل أبو بكر رضي الله عنه ثاني اثنين – وماصحب الأنبياء مثله – تصدق بكل ماله ، فلما قيل له ما تركت لأولادك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله ، وكان راضياً مرضياً .

وروى أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت

المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – وأبرأ ليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم واستقبله سعد بن معاذ، فقال: ياسعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يارسول الله ما صنع ، قال أنس: قد قتل،وقد مثّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، قال أنس:كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٣] (١) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » ، قال عمير بن الحمام : بخٍ بخٍ فقال رسول الله

(١) صحيح : متفق عليه ، رواه البخاري « ٢٨٠٦ » ومسلم « ١٩٠٣ » والترمذي « ٣٢٠٠ » وغيره .

ﷺ : « **ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ** » ، قال : لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلك،قال: « **فإنك من أهلها** » ،قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة ، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل »(١) .

ومن تتبع أحوالهم في الصلاة والصيام والحج والذكر والدعاء ... علم أسباب سعادتهم من جهة وسبب تعاسة وشقاء أرباب الدنيا من جهة أخرى .

كان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم ، وكان لا يمر عليه يوم إلا وينظر في كتاب الله تعالى ، وكان البعض يقوم يصلي فتحط عليه الطير تظنه خشبة لطول قيامه في الصلاة .

ودخل أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رجل يموت وهو يحمد الله ، فقال أبو الدرداء : أصبت إن الله عز وجل إذا قضى قضاء أحب أن يُرضى به .

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ١٩٠١ » وغيره .

وتبع الصحابة رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، منهم عمر بن عبد العزيز الذي كان يقول : ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر ، وقيل له ما تشتهي ؟ ، فقال : ما يقضي الله عز وجل .

ولما كانت محنة الإمام أحمد – رحمه الله – أتاه تلميذه أبو سعيد يقول له يا إمام قلها فإن لك عيالاً « أي يطلب منه أن يوافق المأمون في مقالته البدعية » ، فقال له الإمام أحمد : انظر من الشرفة ، فنظر فوجد خلقاً كثيراً قد اجتمعوا لكتابة ما يقول الإمام ، ورجع أبو سعيد يصف للإمام المشهد ، فقال له : والله ما يكون لي أن أنجو بنفسي وأضل هؤلاء ، وكان منه – رحمه الله – الصبر والثبات على طاعة حتى انقشعت الغمة ، وكان بحق إماماً لأهل السنّة ، ويُحكى أن الإمام أبو حنيفة النعمان – رحمه الله – كانت تأتيه أمه في محنته وهو محبوس يُضرب فتقول له : يانعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب لحقيق أن تزهد فيه فيقول لها : « يا أمه لو أردت بعملي الدنيا لوجدتها ولكني

أردت أن أصون العلم فلم أعرض نفسي فيه للهلكة » وذلك لأن العلم شريف ، من أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول في سجنه : « ما يصنع أعدائي بي؟، أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي لا تفارقني ، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة » ، وكان يجلس يذكر ربه بعد صلاة الفجر ويقول : هذه غدوتي وإن لم أتغد ذهبت قوتي ، ولو ذهبنا نستطرد ونحكي لطال بنا ، ولكن في هذا القدر كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فباختصار كان لسان حال الصالحين ينطق ويقول : « لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف » .

سعادة دنيوية وبرزخية وأخروية

لا أطيب من حياة المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وإن كانت الدنيا هي سجن المؤمن وجنة الكافر وذلك أن المؤمن وإن كان يحيا حياة القصور في الدنيا ، إلا أن ذلك بمثابة سجن بالنسبة لما بعده ، فهو ينتقل إلى روح وريحان ورب غير غضبان ، أما الكافر فينتقل إلى نيران الجحيم ، ولذلك كانت الدنيا جنة بالنسبة له ، حتى وإن كان فيها فقيراً منغصا . وقد ذكرت لنا نصوص الشريعة طيب حياة المؤمنين في دورهم الثلاث قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقال عالم الغيب والشهادة : ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ

أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت :٣٠-٣٢] ، فالمؤمن يبشر عند موته وفي قبره ويقوم يوم القيامة وما ذهبت فرحة البشارة من نفسه . وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) ﴾ [النحل: ٣٢] ، فهذه بشارة من ملائكة الرحمة عن قبض روح المؤمن مما يبعث على هدوئه وسكينته .

وفي الحديث : « **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه** » ، فقالوا: كلنا نكره الموت ، قال: « **ليس ذاك كذاك ، ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه** »(١) .

وفي حديث البراء ابن عازب الذي رواه الإمام أحمد ، قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء**

(١) صحيح : متفق عليه . البخاري « ٦٥٠٧ » ، ومسلم « ١٥٧ » . واللفظ له .

بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوطها ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط [١] ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الريح الطيبة؟ فيقولون : فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونها بها في الدنيا - حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى

---

(١) الحنوط : عطر يطيب به الميت .

الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال: فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له وما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً من الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد البصر ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الذي يجئ بالخير ، فيقول: أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة رب أقم الساعة » (١) .

ويقال للمؤمن عند موته : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

(١) صحيح : رواه أحمد « ١٨٠٦٣ » ، وصححه الألباني والجنائز «١٦٥».

(٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ [الفجر : ٢٧-٣٠] .

وتأمل نعيم وسعادة المؤمنين في الآخرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ينادي مناد : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، فذلك قول الله عز وجل** : ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾ [١] [الأعراف : ٤٣] » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **قال الله عز وجل : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » مصداق ذلك في كتاب الله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ [٢] » [السجدة : ١٧] .

(١) صحيح : رواه مسلم « ٢٨٧٣ » والترمذي « ٣٢٤٦ » وغيرهما .
(٢) صحيح : متفق عليه ، البخاري « ٣٢٤٤ » ومسلم « ٢٨٢٤ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب** » (١).

وفي الحديث: « **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض** » (٢).

وقد ورد في النصوص وصف أبنية أهل الجنة وطعامهم وشرابهم ولباسهم وصفاتهم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ [الزمر: ٢٠]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون ويطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً** » (٣).

وقال سبحانه: ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾

(١) صحيح: أخرجه البخاري « ٣٢٥٣ » وغيرهم.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري « ٢٧٩٠ » وغيره.
(٣) صحيح: متفق عليه، البخاري « ٤٨٨٠ »، ومسلم « ٢٨٣٨ ».

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) ﴾ [الواقعة : ٢١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) ﴾ [الإنسان : ٥-٦] .

وقال: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ [فاطر : ٣٣] .

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنه أن النبي ﷺ قال : «**يدخل أهل الجنة جرداً مرداً كأنهم مكحلون أبناء ثلاث وثلاثون** »[(١)] ، قوله جرداً أي بدون شعر على أجسادهم ، ومرداً أي بدون لحية .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على صورة أشد كوكب دري في السماء ، إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون ،**

---

(١) صحيح : رواه الترمذي « ٢٥٤٥ » وصححه الألباني في الجامع « ٨٠٧٢ » .

أمشاطهم الذهب،ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة [١] ، أزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » [٢] .

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أن موسى عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟، فقال : رجل قد جئ بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : أدخل الجنة ، فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟،فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول : رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة ، قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على

---

(١) الألوة : هو عود يتبخر به .

(٢) صحيح : متفق عليه : البخاري « ٣٣٢٧ » ، ومسلم « ٢٨٣٤ » واللفظ له .

قلب بشر » [1] .

قارن ـ رحمك الله ـ بين سعادة أعظم ملوك الدنيا ـ إن وجدت ـ وبين سعادة أدنى أهل الدنيا منزلة ، فهل هناك وجه شبه ؟!! .

(١) صحيح : أخرجه مسلم « ١٨٩ » وغيره .

تعساء وأشقياء ظنناهم سعداء

تقول مارلين مونرو « الممثلة المشهورة » في نصيحة نصحت فيها المرأة المراهقة ، وذلك قبل وفاتها أو عند انتحارها : « احذري المجد ، واحذري كل من يخدعك بالأضواء ، إنني أتعس امرأة على هذه الأرض لم أستطع أن أكون أماً ، إنني امرأة أفضل البيت والحياة العائلية على كل شئ ، إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، لقد ظلمني كل الناس ، وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة ، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة » .

وتقول الممثلة الأمريكية « بربارة ستريناند » في آخر مقالة صحفية لها : « لقد بدأت أتأكد من أن أشياء كثيرة تنقصني أكثر مما يجب بحياتي الفنية ونسيت حياتي كامرأة وكإنسانة مما جعلني اليوم أحسد النساء اللواتي

عندهن الوقت الكافي للإعتناء بأزواجهن وأطفالهن ، والحقيقة أن النجاح والشهرة لا معنى لهما في غياب الحياة العائلية العادية حيث تشعر المرأة أنها امرأة » .

وقد يتوهم البعض أن الغربيين والأمريكان سعداء بهذا التقدم وهذا التحضر ، والواقع بخلاف ذلك ، ومن طالع إحصائيات جرائم الاغتصاب والإيدز والمخدرات والأبناء غير الشرعيين لعلم مدى الشقاء الذي يعانونه .

لقد بلغت نسبة حالات الطلاق إلى الزواج في الولايات المتحدة في سنة ١٩٨٤ ، ٤٨٪ ، وقبل ذلك كله الشعور بالضياع نتيجة غياب العقيدة الصحيحة فهم لا يدرون من خلقهم ولماذا خلقهم وإلى أين المصير ، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] ، ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) ﴾ [الملك : ٢٢] ، هؤلاء باختصار ومن كان على شاكلتهم، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ

هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾ [الروم : ٧] .

يخطئ من توهم أن الدنيا تورث أهلها السعادة إذا خلت من معاني الإيمان ، قال تعالى : ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)** ﴾ [التوبة : ٥٥] ، قال بعض السلف : يعذبون بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها ، وقال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)** ﴾ .

[هود : ١٥-١٦] .

وفي الحديث « **والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع** »(١) ، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٨٥٨ » والترمذي « ٢٣٢٣ » وغيرهما .

منها شربة ماء » (١) .

وعن سعيد الخدري أن الرسولﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء »** (٢) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً »** (٣) .

قال يونس بن عبد الأعلى : ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكرهه وما يحبه ، فبينما هو كذلك انتبه .

وقال الحسن : نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن ، وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها للجنة ، وبئست الدار

---

(١) **صحيح لغيره** : رواه الترمذي « ٢٣٢٠ » وقال الألباني في الصحيحة « ٩٤٣ » صحيح لغيره .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم « ٢٧٤٢ » وغيره .

(٣) **حسن** : رواه الترمذي « ٢٣٢٢ » وحسنه الألباني في صحيح الترغيب « ٧١ » وغيره .

كانت للكافر والمنافق ، وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها إلى النار .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة .

فانظر للدنيا بمنظار الشرع لا تخطئ ، وتنقشع عنك الغشاوة التي تحجب الرؤية والتمييز ، وعندئذ فقط ستبصر من السعيد ومن الشقي ، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمه ، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له** »(١) .

ثم أي نعيم هذا وأي سعادة هذه ، والنفس إلى موت والمال إلى فوت ، وأنت من التراب إلى التراب تعود ، وكما قالوا : أنت اليوم حيٌّ وغداً ميت ، فكيف لعاقل أن يبيع

---

(١) **صحيح لغيره** : رواه الترمذي « ٢٤٦٥ » وانظر الصحيحة « ٩٤٩ » وصحيح الجامع « ٦٥١٠ » .

آخرته بدنيا لا بقاء له فيها ولا وفاء .

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **« يؤتى بأنعم أهل النار من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟، هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط »** (١) .

وقد ورد في حديث البراء بن عازب الذي رواه الإمام أحمد ، قال رسول الله ﷺ : **« وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع عن الآخرة وإقبال إلى الدنيا نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله**

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ٢٨٠٧ » وغيره .

وغضب ، قال : فتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود [١] من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ،ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى في الدنيا ، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف :٤٠] ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فيطرح روحه طرحاً ثم قرأ :﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ [الحج ٣٠] ، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟

---

(١) السفود : هو حديد ذات زوائد .

فيقول: ها ها لا أدري ، فيقولانْ له : ما دينيك ؟ فيقول : ها ها لا أدري، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فلا يهتدي لإسمه فيقال : محمد فيقول هاه هاه لا أدري ، لا أدري فنادى مناد من السماء أن كذب عبدي، فافرشوه من النار وافتحوا له باباً من النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذي يجئ بالشر فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة » (١) .

فقدموا لأنفسكم ، واعلموا أنكم تسئلون عن ربكم ودينكم ونبيكم في قبوركم ، فانظروا رحمكم الله هل تصلح أقوالكم وأفعالكم للإجابة على ذلك ، وهل ما تنعم به العباد وسعد به البشر يصلح زاداً يسعدون به غداً ، أم أنهم يكونون بسببه حطباً لجنهم ولا تنسوا أن الحياة ممتدة

---

(١) صحيح : سبق « ٢٧» .

زماناً ومكاناً ، وأن الأمر إما جنة وإما نار ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

وإن سعدتم اليوم بمطعم أو مشرب وملبس ومسكن وأجساد حسان فلا أقل من التفكر فيما يكون عليه الأمر غداً ـ إن أنتم عصيتم أمر ربكم ـ قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) ﴾ [براهيم :٤٩-٥٠] .

وقال سبحانه : ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) ﴾ [الغاشية : ٦-٧] .

وقال: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ [الكهف: ٩] .

وقال : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ٢٦] .

وقال : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] .

وعن النعمان بن بشير ﵄ عن النبي ﷺ قال : « **إن أهون أهل النار عذاباً رجل أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمم** »(١) .

وفي الحديث : « **لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟** »(٢) .

والنصوص في هذا المعنى كثيرة فطالعها حتى تقيس الأمور بمقياسها الصحيح ، ولا يسعنا إلا أن نسأله سبحانه الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ به من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، كما نعوذ به من أن نقول زوراً أو أن نغش فجوراً أو أن نكون به من المغرورين ، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) **صحيح** : متفق عليه ، رواه البخاري « ٦٥٦٢ » ، ومسلم « ٢١٣ » .
(٢) **صحيح** : رواه الترمذي « ٢٥٨٥ » وغيره ، وصححه الألباني في الجامع « ٥٢٥٠ » .

التزام الطاعات وواجباتها ومستحباتها من أسباب السعادة

الإيمان عبارة عن شُعب ، وشُعب الإيمان تسمى إيماناً ، والطاعات كلها من شُعب الإيمان ، فإذا كان الإيمان حياة القلوب والأرواح وسبب سعادتها ، فإن إلتزام الواجبات والمستحبات من أهم أسباب انشراح الصدر ورضا النفس وطيب القلب، قال تعالى: ﴿ أَوَ من كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .
[الشورى :٥٢] .

وقال: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .

[الطلاق : ٢] .

وإليك بعض النصوص التي توضح لك ما ذكرنا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً في الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدراسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه** » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى منه درنه شئ؟ قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** » (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « **ركعتا الفجر**

(١) صحيح : رواه مسلم « ٢٦٩٩ » وغيره .
(٢) صحيح : رواه البخاري « ٥٢٨ » ، ومسلم « ٦٦٧ » .

خير من الدنيا وما فيها »[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنة (وقاية) فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه »[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه »[(٣)].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ،

(١) صحيح : رواه مسلم « ٧٢٥ » وغيره .
(٢) صحيح : متفق عليه، البخاري « ١٩٠٤ » ومسلم «١١٥١» وغيرهما .
(٣) صحيح : رواه مسلم « ٢٥٨٨ » .

وعُـدَّ نفسك في أهل القبور» (١) ، وكان ابن عمر يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضى وإن لم يُعط لم يرض** » (٢) .

عن سعـد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل** » (٣) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال : قـال رسـول الله ﷺ : «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شئ فلا تقل : لو أني فعلت كان**

(١) صحيح : رواه البخاري « ٦٤١٦ » .
(٢) صحيح : رواه البخاري « ٦٤٣٥ » .
(٣) رواه الترمذي .

كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » (١) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة »** (٢) ، ومعنى سقط على بعيره أي وجده بعد أن افتقده في مفازة وصحراء .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الحياء لا يأتي إلا بخير** » ، وفي رواية لمسلم : « **الحياء خير كله** » أو قال : « **الحياء كله خير** » (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائكم** » (٤) .

---

(١) صحيح :رواه مسلم « ٢٦٦٤ » وغيره .
(٢) صحيح :متفق عليه ، مسلم « ٢٧٤٧ » ، والبخاري « ٦٣٠٩ » واللفظ له .
(٣) صحيح :متفق عليه « ٦١١٧ » مسلم « ٣٧ » .
(٤) صحيح لغيره :الترمذي « ١١٦٢ » وغيره ، وصححه الألباني في الصحيحة « ٢٤٨ » .

حسن التعامل مع الناس يورثك السعادة

لابد للإنسان من تعامل مع الناس، فهو كائن اجتماعي ومدني بالطبع ، والناس يتفاوتون تفاوتاً عظيماً ، ولا يمكن للإنسان أن يسعد إلا إذا كان تعامله وفق شرع الله، فيعطي من حرمه ويصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ، وهذا جماع حسن الخلق ، وهو مطالب أن يبذل للناس نداه ويكف عنهم أذاه ، وأن يواجه الإساءة بالإحسان ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩٦] ، وإحسانه هذا عائد عليه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦] ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت: ٤٦] ، فلا تواجه الخطأ بالخطأ ولا المعصية بالمعصية ، بل اتقى الله فيمن لا يتقي الله فيك وأعدل فيمن جار عليك ، وأعن العباد على

طاعة الله ولا تعن الشياطين على نفوسهم، وكن كالشجر يُقذف بالحجر فيلقي بالثمر، فما خاب من تعامل مع الله ، وكما مر بك في الحديث « **ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً** » (١) .

قال تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وصح الخبر « **خير الناس أحسنهم خلقاً ، والمؤمن يألف ويؤلف ولا خير فمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس** » (٢) .

إننا لسنا في ساحة حرب مع الناس ، وقد أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ، فما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، فأد للناس ما تحب أن يؤدوه إليك ، واحذر ما يكره الناس وينفرون منه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، واضبط ذلك كله

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) **صحيح** : انظر : الصحيح ١٨٣٧ وصحيح الجامع « ٣٢٨٧ » .

بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله ﷺ ، فمن الأمور والقضايا التي يكرهها الناس ، النصيحة في العلن والتي هي أقرب إلى التوبيخ والتقريع ، كما يكرهون من يركز على السلبيات دون الحسنات ، وفي الحديث « **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر** »[1] ، ويكرهون من لا ينسى الزلات ولا يتغاضى عن الهفوات ، ويعاملهم باستعلاء وكبر وغرور ، وكذلك من يسارع في التوبيخ والتأنيب في غير محله ودون تثبت ، وكذلك يكرهون من يتمادى في الخطأ ولا يعترف بزلله ، ومن ينسب الفضل لنفسه ويكون شأنه كشأن قارون في قوله : ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي** ﴾ [القصص : ٧٨] ، وعلى العكس فهم يحبون من يهادهم ويعودهم في مرضهم ويبدأهم بالسلام ويُظهر الاهتمام بهم ، ويسعى في استدخال السرور عليهم وكشف كرباتهم وستر عوراتهم وقضاء حاجاتهم وديونهم ، ومن يصغى السمع إليهم

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ١٤٦٩ » وغيره .

ويقودهم ويحترمهم ويتباعد عن الجدال معهم ، ويشكر لهم معروفهم ، ويصحح أخطاءهم دون جرح مشاعرهم ، وقد كان النبي ﷺ إذا أخطأ أحد يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا ، ما بال أقوام يقولون كذا ، وقالوا النصيحة : أن تنصح أخاك فيما بينك وبينه فتلك النصيحة ، أما أن تنصحة على رؤوس الخلائق فكأنما وبخته ، ومن الأمور التي يحبها الناس مناداتهم بأحب الأسماء إليهم كأن تناديه بكنيته ، حتى ولو كانوا صغاراً ، وكان النبي ﷺ يقول : « **يا أبا عمير ما فعل النغير** » [(١)] .

---

(١) صحيح : متفق عليه، رواه البخاري « ٦١٢٩ »، ومسلم « ٢١٥٠ »

التعامل الإيماني عند المصيبة يحقق لك السعادة

الخلق خلقه ، والعبد عبده ، والناس في الدنيا والآخرة يتقلبون بين فضل وعدل ، ولا ظلم بين العباد ، لأنه سبحانه حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً ، وهو المعطي المانع ، فإن قد أخذ فقد أعطى ، ولذلك شُرع عند التعزية أن تقول : إن لله ما أعطى ولله ما أخذ وكل شئ عنده بمقدار فلتصبر ولتحتسب ، ثم العبد إذا أصابته المصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها ،كما ورد في حديث أم سلمة رضي الله عنها ، والمصيبة التي يُبتلى بها العبد لا تخلوا من ثلاث نعم : أنها لم تكن بأكبر مما كانت وأنها لا بد كائنة وقد كانت وأنها لم تكن كانت في دينه ، وهذه النظرة من شأنها أن تبعث

على الراحة والتسلية في أحرج وأحلك اللحظات ، وقد علم المسلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، قال تعالى : ﴿ الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ [العنكبوت : ١-٣] ، فالكل مبتلى ، وأشد الناس ابتلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، ويبتلى المرء على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلابه زيد له في الابتلاء ، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) ﴾ .

[يوسف : ١١٠].

وقال : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

وعن عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : شكونا

إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟، ألا تدعو لنا ؟ ، فقال: «**كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون**» (١) .

والمؤمن عندما يواجه المصيبة بالصبر لا بد وأن يسعد ، قال تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ .

[البقرة : ١٥٥-١٥٧] .

فالشوكة يشاك بها المؤمن تكون كفارة لخطاياه ، وفي الحديث : « **عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ،**

(١) صحيح : رواه البخاري « ٦٩٤٣ » .

وليس ذاك لأحد إلا المؤمن ،إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (١) .

وفي الحديث أيضاً : « **يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف »** (٢) .

والصبر خلق فاضل تتمتع به النفس من فعل ما لا يحسن ولا يحل كلطم الخدود وشق الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية وتسخط القضاء ، وهو أيضاً الوقوف مع البلاء بحسن الأدب ، والإيمان نصفه صبر ونصفه شكر ، ولذلك فمعاني الإيمان بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ... لا بد منها في التعامل مع المصائب حتى لا تنقطع النفس غماً وحزناً وكمداً ، قال تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ [الحديد : ٢٣] ، فلا داعي للحزن

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ٢٩٩٩ » .
(٢) صحيح : متفق عليه ، البخاري « ٢٦٩٩» ، ومسلم « ١٧٤٢ »

على الفوائت ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « **احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك بشئ قد كتبه الله عليك** » (١) .

وفي رواية أخرى : « **وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك** » (٢) ، وإذا كان الصبر واجب حتم على المسلم، فالرضى فضل مندوب إليه، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط . وعزى ابن السماك رجلاً فقال : عليك بالصبر ، فبه يعمل من احتسب ، وإليه يصير من جزع .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي « ٢٥١٦ » وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع « ٧٩٥٧ » .

(٢) صحيح : رواه أبو داود « ٤٦٩٩ » وغيره كثير وصححه الألباني في صحيح الجامع « ٥٢٤٤ » .

وقال عمرو بن دينار : قال عبيد بن عمير : ليس الجزع أن تدمع العين ، ويحزن القلب ولكن الجزع القول السيئ والظن السيئ ، وعزى رجل رجلاً فقال: يا أخي ، العاقل يصنع في أول يوم ، ما يفعله الجاهل بعد عام . وعزى البعض مصاباً فقال : « إن صبرت فهي مصيبة واحدة وإن لم تصبر فهما مصيبتان » .

ولننظر في سير وتراجم الأفاضل حتى تتسلى النفوس ، وحتى نعلم قيمة الإيمان وكيف أنه يحقق السعادة في أحرج اللحظات ، فهذه الخنساء رضي الله عنها لما تُوفي أخوها صخر رثته بمئات الأبيات من الشعر ،وكان يومئذ على جاهلتها ، ثم لما أسلمت وسمعت بمصرع أولادها الأربعة في معركة القادسية وكانت قد كبر سنها ورق عظمها ما زادت على قولها : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم جميعاً وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته » وهكذا الإيمان يصنع الأعاجيب .

مطالعة أسمائه وإحسانه وآياته تورثك السعادة

عرفنا سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو المنعم الوهاب المنان البر الرؤوف الرحيم المعطي المانع ، القابض الباسط ، الخافض الرافع .. ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

كما عرفنا بنفسه عن طريق آياته ، وأمرنا بالتدبر والتأمل في إعجازه في خلقه فقال سبحانه: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) ﴾ [الذاريات : ٢١-٢٢] .

وقال : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) ﴾ .
[النازعات :٢٧] .

وقال : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لاَّ

تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء :٤٤] .

وقال : ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون (١٨٥) ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

فالكون من حولنا خلق منظم محكم يسير وفق أمره سبحانه ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (٤٠) ﴾ [يس: ٤٠] ، وقد صرنا نسمع عن دوران الأرض حول نفسها بسرعة ١٠٠٠ ميل / الساعة ، وحول الشمس بسرعة ٦٥ ألف ميل / الساعة ، وهي والشمس ينطلقان في الفضاء بسرعة ٢٠ ألف ميل / الساعة ، فهل يصلح بعد ذلك أن نشرك مع الله آلهة أخرى ؟، إذا كنا في القرن العشرين ونذكر هذه المعاني العلمية فكيف سولت لنا عقولنا أن يكون الإله يأكل ويشرب وينام ويمشي في الأسواق كما هو اعتقاد

النصارى وغيرهم ؟ ، فمن الذي ينظم ويسير الكون ويرزق الخلائق ومن الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ؟!!، تعالى الله عما يقول المشركون والجاحدون علواً كبيراً . إن كل شئ من حولنا مأمور، فالأرض دابة ذلول حلوب ، والرزق فيها أعم من الذهب والفضة ، فهو يبدأ مع أول شعاع شمس يسقط على ورقة النبات فيحدث البناء الضوئي في وجود الماء ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، والمنتج الوحيد هو النبات ، أما الإنسان والحيوان فهو عبارة عن مستهلك ، وقد جعل سبحانه كل شئ في هذا الكون بمقدار ، فالجاذبية الأرضية لو زادت يلتصق الإنسان بالأرض ، ولو قلت يطير في الهواء ، والضغط الجوي لو زاد عن نسبته ينسحق الإنسان ، ولو قل ينفجر الإنسان ، والأرض على سعتها هي أشبه بحلقه في فلاة ، فلا تذهب نفسك حسرات إذا فاتك شئ منها ، وسل الذي بيده ملكوت

السموات والأرض ، ثم الشمس تطلع من المشرق وتغيب في المغرب ، وقرب قيام الساعة تطلع من المغرب وتغيب في المشرق ، وتدنو من الخلائق يوم القيامة ، وهل هي على كبر حجمها مأمورة لا تتخطى أمر الله وقد حبسها سبحانه على نبيه يوشع ابن نون لما أراد فتح بيت المقدس قال : اللهم إني مأمور وأنت مأمورة فاحبسها علينا فحبست ، إن هذا الكون يصير نعمه وسبب سعادة لنا إن نحن أطعنا ربنا ، وينقلب نقمة علينا إذا خالفنا أمره سبحانه وكفرنا به ، فالعلاقة وثيقة بين حالتنا وحالة الكون من حولنا ، وقد وردت آيات كثيرة فيها إشارات علمية طبية وفلكية ... ولكنها سيقت مساق الهداية فتدبرها فإنها تورثك سعادة وتزيدك إيماناً ويقيناً .

وفي كل شئ له آية　　　تدل على أنه الواحد

قال الحسن من لا يرى لله عز وجل عليه نعمة إلا في معطم أو مشرب أو لباس فقد قصر علمه وحضر عذابه .

وقال ابن قدامة بعد أن ذكر جملة من النعم : اعلم أن الخلق لم يقصروا عن شكر النعمة إلا للجهل والغفلة فإنهم منعوا بذلك عن معرفة النعم ، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول أحدهم بلسانه : الحمد لله ، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن تستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها، وهي طاعة الله تعالى . أ . هـ .

ما أكثر نعم الله علينا ، ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [النحل : ١٨] ، وكفي بنعمة الإسلام نعمة ، فقيدوا نعم الله بشكر الله ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)** ﴾ [إبراهيم : ٧] ، قال البعض : يا ابن آدم إذا أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله ـ عز وجل ـ عليك فغمض عينيك .

وقال أبو حازم : إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه

عليك وأنت تعصيه فاحذره .

إن من دواعي السعادة وأسباب السرور تفكر فيما منحك إياه لا فيما سلبه منك ، وإن تحمد الله على نصف الكوب الممتلئ ، لا أن تسخط وتتبرم بنصفه الفارغ ، ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ [الضحى : ١١] ، دخل ابن السماك على هارون الرشيد يوماً فقال له : عظني ، فقال له ابن السماك : أرأيت لو مُنعت منك شربة ماء أكنت تفتديها بنصف ملكك؟ ، قال له هارون : نعم ، فقال : أرأيت لو حُبست فيك ، أكنت تفتديتها بنصفه الآخر ، قال : نعم ، قال له : ملك لا يساوي شربة ماء .

الكفر والمعاصي من أعظم أسباب الشقاء

من أراد السعادة فعليه بالتخلي عن الذنوب والمعاصي ، فإن ترك المحرمات من أعظم الواجبات ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **إذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه**(١) »(٢)،ولذلك كانت التخلية عن الرذائل مقدمة على التحلية بالفضائل ، قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) ﴾ [الطلاق : ٨ — ٩] .

وقال : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ

(١) فاجتنبوه : فدعوه .
(٢) صحيح : رواه مسلم « ١٣٣٧ » .

أَجْمَعِين ﴾ [الزخرف : ٥٥] .

وقال عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « ما نزل بلاء إلا بذنب وما رُفع إلا بتوبة » ، وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله عز وجل بهلاكها» فمن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم .

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وقال سبحانه :﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . [الأنفال : ٥٣] .

والناس لا يرون تأثير الذنوب في الحال ، وقد يتأخر تأثيرها فتنسى ، فيزداد طغيانهم وجبروتهم فتحل عليهم المصائب والكوارث والمحن ، ومن آثار الذنوب والمعاصي ذهاب العلم وبسط الجهل، وكان الإمام مالك يقول للإمام الشافعي: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية .

ومن آثار المعاصي العجيبة أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن ، إذ العلاقة وثيقة بين الإنسان والكون من حوله ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ [الروم : ٤١] .

قال ابن القيم أثناء ذكره لعقوبات المعاصي : ومنها أن المعصية تورث الذل ولابد ، فإن العز كل العز في طاعة الله ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر : ١٠] ، أي فطلبها بطاعة الله ، فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله ، وكان من دعاء بعض السلف : اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك .

وقال الحسن البصري : إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين (الدواب) ، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم ، أبي الله إلا أن يذل من عصاه ، وقال رسول الله ﷺ : « **إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا**

ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم »[1] أ . هـ .

ومن خطورة المعصية أنها تجر إلى معصية كما قال شداد بن أوس : « إذا رأيت الرجل يعمل بطاعة الله فاعلم أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيت الرجل يعمل بمعصية الله فاعلم أن لها عنده أخوات ، فإن الطاعة تدل على أختها ، وإن المعصية تدل على أختها » ، وكان يقول : « اعلموا أنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه ولن تروا من الشر إلا أسبابه ، الخير بحذافيره في الجنة والشر بحذافيره في النار ، والدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البر والفجار ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ، ولكل دار بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا » .

هذا بالإضافة إلى أن المعاصي تسبب نسيان الله للعبد ونسيان العبد لنفسه ، وتمنع استجابة الدعاء وتخرج من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس .

---

(١) صحيح لغيره : أخرجه أبو داود « ٣٤٦٢ » ، وصححه الألباني في الصحيحة « ١١ » .

التشاؤم يحول دون تحقيق السعادة

ورد النهي عن التطير والتشاؤم والوعيد فيه ،قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣١] ، والتطير بالطيور والظباء وغيرها كان يصدهم عن مقاصدهم ، فنفاه الشرع وأبطله وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضر ، ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب ، لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ، كان لا بد من الحذر والتحذير منه إذا أردنا سعادة الدارين ، فالبعض قد صار يتشاءم من أرقام معينة كعدد (١٣) والبعض يتطير بنواء قطة ونباح كلب أو تنميل يد أو طرفة عين ... وكل ذلك من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم ، وقد نهي رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى

ولا طيـرة ولا هامـة ولا صَفَـر » [(١)] ، وزاد مسلم « **ولا نوء ولا غول** » ومعنى ولا طيرة أي لا تطيروا ولا تشاءموا ، وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ :ومنا أناس يتطيرون ، قـال: « **ذلك شئ يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**»[(٢)] ،فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته، إلا في المتطير به،فوهمه وخوفـه وإشراكه هو الذي يطيره ويصبره لما رآه وسمعه ، فأوضح ﷺ لأمته الأمر ، وبيّن لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة ، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ، ويحذرونه ،ولتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم .

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تـدل على جـواز الطيـرة كـقـوله ﷺ : « **الشؤم في ثلاث : في المرأة والدار والدابة** » [(٣)] ، ونحو هذا قال ابن القيم رحمه الله

---

(١) صحيح : متفق عليه ، البخاري « ٥٧٥٧ » ، ومسلم « ٢٢٢٠ » واللفظ للبخارى .

(٢) صحيح : رواه مسلم « ٥٣٧ » وغيره .

(٣) صحيح : متفق عليه ، البخاري « ٥٧٥٣ » ، ومسلم « ٢٢٢٥ » بلفظ الفرس .

تعالى : إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه ، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها وساكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه ، ويعطى غيرهما ولداً مشئوماً بأن الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها ، فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس وغيرها ، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركاً ، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليُمن والبركة له ، ويخلق بعضها نحوساً يتحسس بها من قاربها ، وكل ذلك بقضائه وقدره ، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذذ بها من قاربها من الناس وخلق ضدها وجعلها سبباً لألم من قاربها من الناس،والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس ، فكذلك في الديار والنساء والخيل ، فهذا لون والطيرة

الشركية لون » أ . هـ ، وقد روى البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» ، قالوا : وما الفأل؟ قال : « الكلمة الطيبة والتفاؤل حسن ظن بالله والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال » (١) .

وعن عقبة بن عامر قال : ذُكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال : « أحسنُها الفألُ ، ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولاقوة إلا بك » (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع ياراشد يانجيح » (٣) .

وعن بريدة رضي الله عنه « أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شئ

---

(١) صحيح : متفق عليه ، البخاري « ٥٧٧٦ » ، ومسلم « ٢٢٢٤ » .
(٢) صحيح : رواه أبو داود بسند صحيح « ٣٩١٩ » .
(٣) صحيح : رواه الترمذي « ١٦١٦ » وصححه الألباني في الجامع « ٤٩٧٨ » .

وكان إذا بعث عاملاً سأله عن اسمه فإذا أعجبه فرح به ، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه »(١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « **الطير شرك ، الطيرة شرك ، ومامنا إلا ... ولكن الله يُذهبه بالتوكل** »(٢) .

أي لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده ، وفي الحديث : « **من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك** » ، **قالوا : فما كفارة ذلك** ؟ قال : « **أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك** »(٣) .

---

(١) حسن رواه أبو داود واسناده حسن .
(٢) صحيح : رواه أبو داود « ٣٩١٠ » والترمذي « ١٦١٤ » ، وصححه الألباني في الصحيحة « ٤٣٠ » وأثبت أنه مرفوع .
(٣) صحيح : رواه أحمد، وغيره عن عبد الله بن عمرو وصححه الألباني في الصحيحة «١٠٦٥» .

ضياع السعادة بسبب المادية الطاغية

قررنا أن السعادة هي مطلب الناس جميعاً ، المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وهي الهدف المنشود الذي تسعى البشرية لتحقيقه ، حتى وإن أخطأته الكثرة ، وضلت الطريق إليه فكانت حياتها تعاسة وشقاوة نتيجة هذا الطغيان المادي ، نحن نسوق لكم بحول الله وقوته - بعض الصور والنماذج التي رآها الناس تحقق لهم السعادة والبهجة ، كالغنى والجاه والسلطان والحرص على ارتياد الأوكازيونات مع إهمال الفرص الحقيقية ، والإكتفاء بالبروتينات والفيتامينات مع إهمال غذاء القلب والروح ، والحرص على نظافة الظاهر مع إهمال الباطن ، ومحاولة استدخال السرور على النفوس في العرس بالرقص والإختلاط وغير ذلك من الصور المنتشرة في حياتنا والتي هى من مظاهر غربتنا ، وقد استلزم ذلك

وضع الضوابط الشرعية لكل صورة من الصور التي ترد الحق لنصابه ويصطلح كل فريق على حقه .

الشقاء بالمال والثروات والعقارات :

قد رأى البعض أن السعادة تكمن في تكديس المال وجمع الثروات وبناء العقارات والقصور، وهذا وهم عريض ، وإلا فصاحب المال يتعب في جمعه وحفظه واستثماره ويصيبه القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله،قال تعالى : ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)** ﴾ [التوبة : ٥٥] ، قال بعض السلف : يعذبون بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها ، وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة ، وقد قص علينا ربنا جل وعلا قصة قارون فقال سبحانه عنه : ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ** ﴾ [القصص : ٧٩] ، وانبهر الناس فقالوا :

﴿ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾ [القصص : ٧٩] ، ولم يكن الأمر كذلك فقد كان كافراً بالله تعالى: ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (٨١) ﴾ [القصص : ٨١] ، فهل تحققت السعادة بالمال ؟! وهل تستغرب إذا أتى هو وأمثاله يوم القيامة وقال : ﴿ ما أغنى عني ماليه (٢٨) ﴾ [الحاقة : ٢٨] ؟! ، قال بعض العلماء : مصيبتان في مال العبد لم يسمع بهما الأولون والآخرون ، يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله .

صور السعادة الزائفة :

ووهم السعادة لم يقصر على المال ، فقد توهمه فريق آخر في كأس وغانية، وبحث فريق ثالث عن السعادة في الشهرة ، حتى لو أتت على حساب دينه، فلا مانع عنده من أن يرقص أو يصبح خنثى أو يصنع من نفسه شيطاناً وحماراً ينهق وكلباً يعوى وينطق بكلمات الكفر رجاء أن يُطلق

عليه اسم الممثل الكبير والفنان القدير،أو يكتب كفراً وينشر ضياعاً كحالة مؤلف «أولاد حارتنا» و«آيات شيطانية» لينال عليها جائزة نوبل أو أرفع وسام في إنجلترا !!.

أين تجد الإنسان المادي المعاصر ؟!

إن السعادة الحقيقة ليست في المال ولا في الشهرة ولا في الشهادات ولا في المناصب ولا ما أشبه ذلك من حطام الدنيا ، وإلا فلو بحثت عن الإنسان المادي المعاصر فلن تجده إلا في حانة من الحانات ، أو مرقص من المراقص ، أو نزيل مستشفي من مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية وسط حالات القلق والاكتئاب والاضطراب، وستجد دولاً كالسويد والنرويج والدنمارك وهي من أغنى الدول من حيث دخل الفرد إلا أنها أعلى الدول في نسب الانتحار .

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾ [طه : ١٢٤] .

لقد طلب الماديون السعادة في غير مظانها وتوهموها في دنيا ، لا بقاء لها ولا وفاء ، بل هي كما وصفها

سبحانه : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ [الحديد : ٢٠]، وقال جل وعلا : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ [محمد : ١٢] ، وقال : ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون (٧) أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (٨) ﴾ [يونس : ٧-٨] ، وقال : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً (٧) ﴾ [الكهف : ٧] ،وكان عمر رضي الله عنه يقول : لولا أن تنقص من حسناتي لخالطتكم في لين عيشكم ، ولكني سمعت الله عيَّر قوماً فقال : ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ [الأحقاف : ٢٠] ، وقال النبي ﷺ : « ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب تحت شجرة ثم راح وتركها »[١] ،وأوصى ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) صحيح : رواه الترمذي كتاب الزهد « ٢٣٧٧ » وصححه الألباني في الصحيحة « ٤٣٨ » وصحيح الجامع «٥٦٦٨ » .

فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل [(١)] ، وقال سبحانه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ [هود : ١٥-١٦] ، وروى أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق شمله ولم يأته من الدنيا إلا ماقدّر له » [(٢)] ،إن السعادة التي ينشدها المسلم لا تقتصر على الدنيا دون الآخرة ، فهو يريد أن يسعد في دنياه وأخراه وأن يكون من الذين سُعدوا وفي الجنة خالدين فيها ، ويسأل ربه سعادة لا شقاوة بعدها أبداً ولذلك هو يسلك طريق السعداء ويحذر سبيل الأشقياء ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) ﴾ [هود: ١٠٥] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري كتاب الرقاق « ٦٤١٦ » .
(٢) صحيح : رواه الترمذي « ٢٤٦٥ » وصححه الألباني في الصحيحة « ٩٤٩ » .

أسباب الشقاء والتعاسة

ومن أعظم أسباب الشقاء والتعاسة ، الكفر بالله جل وعلا يقول تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، وكذلك العمل بالمعاصي والآثام والجرائم يقول سبحانه : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٣-١٢٤] ، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) ﴾ [الشمس :١١-١٢] ، وهو الذي عقر الناقة مخالفاً بذلك أمر ربه ، ومن جملة الذنوب التي تحترق وتشقى بها النفوس الحسد والغيرة ولذلك حذر النبي ﷺ من هذه الآفات فقال: « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » (١) ، ويدخل في ذلك أيضاً الحقد والغل

(١) صحيح : متفق عليه وهذا لفظ مسلم « ٢٥٥٩ » .

والغضب والظلم والخوف من غير الله عز وجل والتشاؤم وسوء الظن والكبر وتعلق القلب بغير الله كتعلق قلب العاشق بمعشوقته ، ويدخل في ذلك أيضاً النظر المحرم وتعاطي المخدرات التي أدت إلى تفسخ الأفراد والأسر والمجتمعات ، والتي هي أيضاً شر من الخمر ، ومن موانع السعادة وأسباب الانحلال والتعاسة والشقاء .

وهذه الأسباب المذكورة هي من أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة إن لم يتب صاحبها قبل مماته ، قال تعالى حاكياً عن أهل النار : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] ، وقال: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) ﴾ [الليل : ١٤-١٦] ، وقال : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ﴾ [الليل : ١١-١٢] ، وقال: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) ﴾[مريم : ٣٢] ، وكان شداد ابن أوس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: اعلموا أنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه ، ولن تروا من الشر إلا أسبابه الخير بحذافيره في الجنة والشر بحذافيره في النار،والدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ، ولكل دار بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . وقالوا : ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، وأنتم من الورود على يقين ، ومن النجاة منها « أي من النار » في شك فاعمل عمل رجلٍ لا ينجيه إلا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كُتب له .

أسباب السعادة الحقيقية :

وإذا كنت تنشد سعادة الدارين فعليك بالاستقامة على شرعه واتباع صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وهذا يتطلب منك الإيمان بالله والعمل الصالح يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧]،

وقال : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩) ﴾ [المائدة :٦٩] ،

وفي الحديث : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »[(١)] ، وكان النبي ﷺ إذا اشتد عليه أو حزبه أمر يقول : « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها »[(٢)] ، وكان ﷺ يقول : « وجُعلت قرة عيني في الصلاة »[(٣)] ، والرضى بالقضاء والقدر سعادة وأي سعادة ، فإن الله بقسطه وعلمه جعل الرَّوْح والفرح في اليقين والرضى وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ، قال تعالى: ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣٥) ﴾ [فصلت: ٣٥]، فإن

---

(١) صحيح : رواه مسلم كتاب الزهد والرقائق « ٢٩٩٩ » .
(٢) صحيح : أخرجه أبى داود كتاب الأدب « ٤٩٨٥» وصححه الألباني في صحيح الجامع « ٧٨٩٢»
(١) صحيح : رواه النسائى «٣٩٤٠ » وأحمد « ١٣٦٢٣ » وصححه الألبانى في صحيح الجامع « ٣١٢٤ » .

وجد ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإن وجد ما يكره قال : الحمد لله على كل حال ، وإذا كان الجهل مصيبة وما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين ، فلا بد من طلب العلم حتى يسهل علينا التفريق بين الإيمان والكفر، والسُّنَّة وابدعة والحق والباطل، والسعادة الحقيقية والسعادة الزائفة .

كيف كانت سعادة الأفاضل ؟

إن الكافر يُشاك بشوكة فيملأ الدنيا عويلاً وصياحاً ، أما المسلم كخبيب ابن عدي رضي الله عنه فيقول عندما صلبوه وناوشوه بالرماح والسيوف :

ولست أبالى حين أُقتل مسلماً
على أى جنب كان فى الله مصرعى
ولست بمبد للعدو تخشعاً
ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلوٍ (١) مُمَزَّعِ

ويقول كما قال زيد بن الدَّثنَة عندما قبض عليه المشركون وخرجوا به إلى التنعيم وسأله أبو سيفان : أما

(١) أعضاء الجسد بعد تمزيقها .

تحب يازيد أنك في أهلك ومحمد هنا تُضرب رقبته ؟، فقال زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « والله إني لا أحب أن يُصاب محمد بشوكة بين أهله وأنا في مكاني هذا » ، لقد كانت سعادة هؤلاء الأفاضل في القيام بطاعة ربهم ، حتى وإن كلفتهم أرواحهم ، وقدموا محبة نبيهم ﷺ على محبة المال والأهل والولد ، ولربما انشغل الواحد منهم لحظة وفاته بإرسال السلام لرسول الله ﷺ وبالصلاة لربه جل وعلا ، وكانوا يقابلون الموت غير هيابين ، ويقولون : اليوم نلقى الأحبة محمداً وصحبه .

أسباب مهمة ونافعة :

إن السعادة الحقيقية لا تتحقق بسماع الأغنية والموسيقى ، ولا بمشاهدة الرقصة والفيلم والتمثيلية والمسرحية أو بغير ذلك من مظاهر الفحش وصور الإعراض ﴿ وَمَن يَعْشُ (١) عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ (٢) لَهُ

(١) يعرض ويتعامى .
(٢) نقدِّر له ونهيأ له .

شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) ﴾ [الزخرف : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢] وقال سبحانه : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] ، ولما اشتكى رجل للحسن قسوة قلبه . قال له : أَذِبْهُ بالذكر .

وقال رجل لأم الدرداء يوماً: أجد داء لا أجد له دواءً ، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً ، فقالت : اطلع في القبور واشهد الموتى .

ومن أعظم أسباب السعادة ، الإحسان إلى الناس ، وقصر الأمل، وعدم التعلق بالدنيا، والاستعداد ليوم الرحيل ، ونظر الإنسان إلى من هو دونه في أمور الدنيا ، وإلى من هو فوقه في أمور الآخرة ، ومصاحبة الأخيار والصالحين ، ودفع السيئة بالحسنة ، وأن تعلم أن أذى الناس خير لك ، وأن الظلم والبغي بمثابة سهم يطلقه صاحبه ثم يعود أول ما يعود إلى نحره هو ، وأن الله جل وعلا لا تضييع عنده

مثاقيل الذر : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) ﴾ .

[المجادلة : ٦] .

أهمية الدعاء لتحقيق السعادة :

ولا تنسَ الالتجاء إلى الله عز وجل وكثرة الدعاء والتضرع إليه سبحانه وقل: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) ﴾ [طه: ٢٥-٢٦] ، وقل: « **اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال** »[١] ، « **اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأنه كله لا إله إلا أنت** »[٢] ، « **اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلحِ لي آخرتى التي فيها معادي واجعل**

(١) صحيح : متفق عليه وهذا لفظ البخاري « ٢٨٩٣ » .
(٢) حسن : رواه أبى داود « ٥٠٩٠ » واحد « ٢٧٨٩٨ » ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع «٣٣٨٨» .

الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر » (١) ، ومن دعاء رسول الله ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرْك الشقاء وسوء القضاء وشماته الأعداء** » (٢) ، وكان يقول: « **اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حُكمُكَ ، عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي** » (٣) ، وأكثر من الاستغفار وقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، واحرص على طاعة الله ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ ﴾ [الطلاق : ١-٢] فما عند الله من خير وسعادة لا ينال إلا بطاعتنا له ،

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ٢٧٢٠ » .
(٢) صحيح : متفق عليه البخاري « ٦٣٤٧ » ومسلم « ٢٧٠٧ » .
(٣) صحيح : رواه أحمد « ٣٧٠٤ » وصححه الألباني حفظه الله .

واعلم أن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤] .

تسلية النفوس المؤمنة :

لقد كانت النفوس المؤمنة تجد رضاها وتسليتها الحقيقة في ذكر ربها والإنابة إليه سبحانه والإقبال عليه بالطاعة والعبادة: ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] ، وكانوا إذا احتاجوا أن يروّحوا عن أنفسهم فبشئ من اللهو المباح الذي لا حرمة فيه ، ومن ذلك قول النبي ﷺ لحنظلة الأسيدي: « **لو تدومون على ماتكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة وكررها ثلاثاً** »(١) ، وكان النبي ﷺ يسابق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فسبقها مرة وسبقته أخرى وقال لها : « **هذه بتلك** »(٢) ، وصارع ركانة وكان ركانة

---

(١) صحيح : رواه مسلم كتاب التوبة « ٧٦٠ » .
(٢) صحيح: رواه أبو داود « ٢٥٧٨ » وأحمد « ٥٧٤٥ » وصححه الألباني في صحيح الجامع «٧٠٠٧» .

من مشاهير العرب بالقوة فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات ، وشاهد لعب الحبشة بالحراب في المسجد وقال : « **دونكم بني أرفدة** » ، وكان يقول للسيدة عائشة رضي الله عنها : « **تشتهين تنظرين**» (١) ، فلا يمل حتى تمل ، وأذن للجاريتين في الغناء للسيدة عائشة في يوم عيد وقال : لتعلم يهود المدينة أن في ديننا فسحة ، وعلى هذا الهدى درج صحابته الكرام رضوان الله عليهم فكان عمر يقول : « علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً » .

وكان عليّ رضي الله عنه عداء وكان سلمة بن الأكوع يسابق الخيل فيسبقها ، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إن كلت عميت .

فعلوا ذلك لمعرفتهم أن الإنسان يثاب حتى في ترويحه عن نفسه ورياضته النافعة وذلك إذا انتوى نية حسنة واحتسب الأجر عند الله تعالى ، ولم ينسَ واجب العبودية وأنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره وسائر جوارحه ﴿ إنَّ

(١) صحيح : متفق عليه البخاري « ٥٩٠ » ومسلم « ٨٩٣ » .

السَّمْعَ وَالْبَصر وَالْفُؤاد كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا (٣٦) ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، والترويح عن النفس لا يكون بمعصية الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

ندور مع إسلامنا حيث دار :

إن المسلم الحق هو الذي يفرح بطاعة الله ويحزن بمعصيته ، ويحب المطيعين ويبغض العاصين ويتباعد بنفسه عن أماكن اللهو والفسق ، ويحرص على رضى ربه حتى وإن سخط عليه الناس ، ويدور مع إسلامه حيث دار ، فلا يحب إلا ما يحبه الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾ [يونس : ٥٨] ، وقال عن الشهداء : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [آل عمران: ١٧٠] ، وقال : ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ﴾ [الروم : ٤, ٥] ،وقال: ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [االرعد : ٣٦] .

نحن كذلك لا نحب الكآبة :

كان النبي ﷺ ألين الناس ضَحَّاكاً بَسَّاماً ، هاشاً باشاً ، يتعوذ بالله من الهم والحزن،ويعلم أمته أن تقول في دعائها : « اللهم إني عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي »(١) .

وقد أمر النبي ﷺ أمته بكل ما يحقق فرحها الحقيقي في الدنيا والآخرة ، ونهاها عن كل ما من شأنه أن يستدخل عليها حزناً حقيقياً أيضاً في الدنيا والآخرة .

(١) **صحيح** : رواه أحمد « ٣٧٠٤ » وصححه الألباني حفظه الله .

مسائل تفاوتت فيها الأنظار طلباً للسعادة نسوق لكم منها بحول الله وقوته

أولاً : الأوكازيون والفرص

الفرص كلمة أصبحت لا تطلق في حياتنا إلا على ما له علاقه بالدرهم والدينار وعلى كل ماهو مادي، فأصبحت الهجرة إلى أمريكا أو كندا والتأشيرة من أجل ذلك فرصة ، والدخول في مشروعات اقتصادية واستثمارية حتى وإن كانت محرمة ... فرصة طالما سنحقق من ورائها ربحاً مادياً حتى لو خسر الإنسان دينه بسببها ، وكذلك هذه الأوكازيونات التي تباع فيها السلع رخيصة وزهيدة فرصة وما أكثر الأمثلة الدالة على سوء أو قصور استخدام كلمة فرصة ، ولذلك فالأمر يستدعي وقفة واستدراكاً .

لحظاتك وأنفاسك فرصة :

وإلا فمتى اعتبرت عمرك وحياتك ولحظاتك وأنفاسك

فرصة واشتريت بها نعيماً لا ينقضي لأبد الآباد ؟! لا شك أن النعيم المقيم والخلود في الجنات ومرضاة الرب سبحانه هو ما تتطلع إليه النفوس المؤمنة التي ترجو رحمة ربها وتخشى عذابه ، وتضن بالخطرات واللحظات عن التبديد فيما لا طائل تحته ولا فائدة من ورائه وتبادر وتسارع امتثالاً لقول النبي ﷺ : « **بادروا بالأعمال سبعاً . هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً أو غنى مُطغياً ، أو مرضاً مُفسداً ، أو هرماً مُفنداً أو موتا مُجهزاً ، أو الدجال ، فشر غائب يُنتظر أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر** » (١) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا** » (٢) .

وعن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال : « صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر فسلم ،ثم قال مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته ،فخرج عليهم

---

(١) في سنده ضعف ... وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع « ٢٣١٥ » .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم « ١١٨ » وغيره .

فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته فقال: « ذكرتُ شيئاً من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته »(١) ، والتبر قطع ذهب أو فضة .

المبادرة باغتنامها :

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحد : أرأيت إن قتلتُ فأين أنا ؟، قال : « فِي الجنة » ، فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قُتل»(٢) ، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ، قال : « أن تَصَّدق وأنت صحيح شحيحُ تخشى الفقر وتأمُل الغنى ، ولا تُمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان لفلان كذا »(٣) ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] ، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣] ،

(١) صحيح : رواه البخاري « ٨٥١ » وغيره .
(٢) صحيح : متفق عليه البخاري « ٤٠٤٦ » ومسلم « ١٨٩٩ » .
(٣) صحيح : متفق عليه البخاري « ١٤١٩ » ، ومسلم « ١٠٣٢ » .

واعلم أن عمرك هو رأس مالك ، وكل نَفَسٍ أعظم من ملء الأرض ذهباً ، « **فمن قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة** »[(١)] ، وفي الحديث « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** »[(٢)] ،ومن قال: « **سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر** » ، أفليست هذه الفرصة ؟ .

التوبة قبل حلول الأجل فرصة :

أوليست المبادرة بالتوبة النصوح قبل حلول الأجل فرصة ؟! فعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال:« **إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** »[(٣)] ، والغرغرة هي بلوغ الروح الحلقوم .

(١) صحيح : رواه الترمذي « ٣٤٦٥ » وصححه الألباني في صحيح الجامع « ٦٤٢٩ » .
(٢) صحيح : متفق عليه البخاري « ٦٤٠٦ » ، مسلم « ٢٦٩٤ » .
(٣) حسن : رواه الترمذي « ٣٥٣٧ » وابن ماجه « ٤٢٥٣ » وأحمد « ٦١٢٥ » وحسنه الألباني في صحيح الجامع « ١٩٠٣ » .

وهذا بالنسبة لعمر الإنسان ، أما بالنسبة لعمر الزمن فقد ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** »[1] ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وقد قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : ٣١] . وهل هناك فرصة أعظم من الفلاح والنجاح الحقيقي ؟! .

بابان مفتوحان إلى الجنة :

وحياة الوالدين فرصة عظيمة ، فما بعد البر إلا العقوق ، والبر واجب والعقوق كبيرة من الكبائر ، ومن أصبح وله والدان أصبح وله بابان مفتوحان إلى الجنة وإن كان واحداً فواحداً ، وفي الحديث : « **رَغِمَ**[2] **أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة** »[3] ، إذا فاتته

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم « ٢٧٠٣ » .
(٢) التصق بالتراب وأصابه الذل .
(٣) **صحيح** : رواه الترمذي « ٣٥٤٥ » وأحمد « ٧٤٠٢ » واللفظ له ، وصححه الألباني في صحيح الجامع « ٣٥١٠ » .

هذه الفرصة فمتى يُدرك مثلها ؟ .

رفع العلم وبسط الجهل :

ووجود العلماء وكتب أهل العلم فرصة عظيمة يجب أن تُغتنم قبل فواتها ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل** » (١) ، وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يتقارب الزمان ويقبض العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج – أي القتل –** » (٢) ، ومن المعلوم أن الجهل مصيبة، وما عُصي الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين ، والإنسان عدو ما يجهل وأسير ما يعلم ،وقبض العلم يكون بقبض العلماء، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً**

(١) صحيح : متفق عليه البخاري « ٨٠ » ، ومسلم « ٢٦٧١ »
(٢) صحيح : مسلم « ١٥٧ » .

فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » [١] ، ومن أشراط الساعة أن يتلمس العلم عند الأصاغر وهم أهل البدع .

منه بدأ وإليه يعود :

ووجود المصاحف وحفظة القرآن فرصة عظيمة لحفظ القرآن وتجويده وتعاهده ، ومعرفة أحكامه وتفسيره ، فعن عبد الله بن مقصود رضي الله عنه : « لينزعن القرآن من بين أظهركم يسري عليه ليلاً فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شئ » . رواه الطبراني وقال ابن حجر : سنده صحيح لكنه موقوف [٢] ، وهذا لا يقال بالرأي فحكمه حكم المرفوع . قال ابن تيمية « يرسي به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ، ولا في المصاحف منه حرف » وأعظم من هذا أن لا يذكر اسم الله تعالى في الأرض كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى**

---

(١) **صحيح** : متفق عليه البخاري « ١٠٠ » ومسلم « ٢٦٧٣ » .
(٢) الموقوف : قول الصحابى ، والمرفوع ما نسب للنبي ﷺ .

لا يقال في الأرض الله الله »[١] ، وما من بيت أو مسجد إلا وفيه الكثير من المصاحف ، فأقبلوا على كتاب ربكم تحيا قلوبكم وأرواحكم ، واستزيدوا من الأجر والثواب ، فمن قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثاله وفي الحديث « لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف »[٢] .

الأخ الصالح فرصة :

والأخ الصالح فرصة عظيمة ، يذكرك إذا نسيت ويعينك إذا ذكرت، وأهلك قد يشغلهم ميراثك بعد وفاتك، أما هو فيبكيك ويدعو لك وأنت تحت الثرى وفي أجواف القبور ، فكيف تبكي مثل هذا بعد موته وفي الحياة تركت وصله ، بل وقد يشفعه ربنا فيك يوم القيامة ، وهو في الدنيا بمثابة قلعة لك فاستكثروا من القلاعة ولا تفوتوا هذه الفرصة رحمكم الله .

(١) صحيح : رواه مسلم « ١٤٨ » وغيره .
(٢) صحيح : رواه الترمذي « ٢٩١٠ » وصححه الألباني في صحيح الجامع « ٦٤٦٩ » .

المسجد الحرام مهوى الأفئدة فسارع بزيارته :

وإذا كانت نفوس المؤمنين تهفوا لبيت الله الحرام ولزيارة المدينة فبادروا باغتنام هذه الفرصة قبل فوات الأوان ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن سمعان قال : سمعت أبا هريرة يخبر أبا قتادة أن رسول الله ﷺ : « **يُبايع لرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا يسأله عن هلكة العرب ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً ، وهم الذين يستخرجون كنزه** »(١) ، فالكعبة لم تهدم بعد ولله الحمد ، والحنين موجود : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)** ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .والصلاة في الحرم المكي بمئة ألف صلاة فيما سواه فبادروا بالحج والعمرة ، فقد تعرض الحاجة وتضل الراحلة وتفوت الفرصة.

---

(١) قال ابن كثير : هذا إسناد جيد قوي ، وقال الألباني : هذا إسناد صحيح

ثانياً : هل تكفي البروتينات والفيتامينات كغذاء للقلب والروح ؟

اعتناء الناس كبير بأبدانهم وحرصهم على سلامتها وصحتها أمر يفوق الوصف ، فتجد هذا يتحدث في التكامل الغذائي وأن الغذاء المناسب يشتمل على الأملاح والفيتامينات والبرتينات والنشويات والسكريات ... ويؤلف الثاني في كيفية الوقاية من الأمراض العضوية وخصوصاً أمراض القلب وتكثر التحذيرات هنا وهناك ، وتعقد المؤتمرات وتلقي البرامج والندوات في التوعية الصحية للكبار والصغار والرجال والنساء ، فالعقل السليم في الجسد السليم كما يقولون ، ولا يخفي على أحد قيمة الصحة البدنية ، فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يشعر بها إلا المرضى ، وقد يكون المرض الجسماني عائقاً عن الكثير من الطاعات ، ولكن الملاحظ في هذا الجانب هو الطغيان المادي في

وصف الداء والدواء والغفلة عن الكثير من الأغذية النافعة التي وردت في الطب النبوى،كما يتهاون الأطباء في الكثير من العلل الفتاكة ولا ينتبهون لمقدماتها وأسبابها ويهدرون العلاقة الوثيقة بين القلب والجسد بلا مبرر،وفي الحديث: « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » (١) .

حياة القلوب والأرواح :

ولا حياة لقلوبنا ولا لأرواحنا إلا بالإيمان والعمل به ، بل بطن الدنيا خير لنا من ظهرها إن نحن تركنا كتاب ربنا وراء ظهرنا ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام :١٢٠] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾ [الشورى :٥٢] .

(١) صحيح : متفق عليه البخاري « ٥٢ » ، ومسلم « ١٥٩٩ » .

لا داعي لأن نرقع بالقرآن عوج الحياة :

هيا بنا نرتفع لمستوى إسلامنا ونغير بديننا عوج الحياة ، لا أن نرقّع بكتاب ربنا هذا العوج ، فالإسلام دين ودولة ، وإن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن كما قال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فإذا رأينا السلطان قد افترق عن الكتاب فلا يصح مفارقة الكتاب ، بل لا بد من القيام لله بحقه حتى يعود الأمر إلى نصابه ، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا بسلوك طريق الأنبياء والمرسلين ،وأن نتربى على كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ، هذا النبع الصافي الذي تربى عليه سلفنا الصالح ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٤-٥] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت :٦٩] .

أحوال القلوب :

القلب بالنسبة للأعضاء كالملك بالنسبة للجنود ، وقد تكلم العلماء في أحوال القلوب ، فذكروا منها القلب

السليم ، وهو الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ولا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به كما قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] . والقلب الميت هو الذي لا يعرف ربه ولا يعبده فهو متعبد لغير الله حباً وخوفاً ورجاءً وإن أحب أحب لهواه، وصاحب هذا القلب لا يُرجى له خير ولا صلاح في الدنيا ولا في الآخرة إن لم يحيا بالإيمان : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام :١٢٢] ، والقلب المريض فيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص عليها والحسد والعجب والكبر وحب الرياسة والعلو والفساد في الأرض ماهو مادة هلاكه وعطبه ، وهذا القلب يحتاج إلى تعاهد ودواء لكي يسلم من عطبه ويصح من مرضه وإلا فيخشى عليه الموت ، وكان حذيفة

ابن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : « القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر ، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر وأبصر ثم عمى ، وقلب تمده مادتان مادة إيمان ومادة نفاق وهو للغالب عليه منهما » .

أهمية الطاعات لحياة القلوب وسلامتها :

الطاعة نور في الوجه وقوة في القلب والبدن والمعصية بضد ذلك ، فعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « الطاعة نور في الوجه وقوة في البدن والمعصية بضد ذلك » فعن حذيفة ابن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **تُعرض الفتن على القوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أُشْرِبَها نُكت نُكْتة [1] سوداء ، وأي قلب أنكرها نُكِتَ فيه نُكْته بضاء حتى تعود القلوب على قلبين : قلب أسود مرباداً [2] كالكوز مجخياً [3] لا**

---

(١) الأثر اليسير .

(٢) شديد السواء متجعد .

(٣) مقلوباً : المراد كالكأس المقلوب لا يدخله ماء ، أي لا يدخل الخير قلبه .

يعرف معروفاً ولا ينكراً منكراً إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض » (١) .

خطورة المعاصي وضررها :

وللمعاصي من الآثار المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة مالا يعلمه إلا الله عز وجل ، وليس في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي ، ولذلك كان ابن المبارك يقول :

رأيت الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك
وأحبار سوء ورهبانها

ومن أعظم أسباب مرض القلب آفات اللسان ، كالكذب والغيبة والنميمة والفحش والبذاء والكلام فيما لا

(١) صحيح : رواه مسلم « ١٤٤ » .

يعني والمدح، ففي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله ﷺ : « **وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم** »(١) . وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** »(٢) .

فضول النظر :

ومن ذلك إطلاقه النظر إلى ما حرم الله تعالى ، وهذا من شأنه أن يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله ، كما أنه يضعف القلب ويحزنه ويكسبه ظلمة وإذا أظلم القلب أقبلت عليه سحائب البلاء والشر من كل مكان ، كما أن فضول النظر يقسي القلب ويسمح بدخول الشيطان إليه مما يوقع العبد في ذل اتباع الهوى ، كما أن النظرة تجرح القلب وتفعل فيه ما يفعل السهم في الرمية ، وفي ذلك إذهاب نور البصيرة وإيقاع القلب في ذل اتباع الهوى وأسر الشهوة ؛ ولذلك أمر سبحانه عباده المؤمنين بغض البصر

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذي « ٢٦١٦ » وقال حسن صحيح وصححه الألباني في الجامع « ٥١٣٦ » .

(٢) **صحيح** : متفق عليه ، البخاري « ٦٠١٨ » ، ومسلم « ٤٧ » .

فقال سبحانه : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) ﴾ [النور : ٣٠] ، ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور : ٣١] فغض البصر يورث القلب أُنساً بالله عز وجل ويقوي القلب ويفرحه ويفتح للعبد باب العلم ويسهل عليه أسبابه ، فهناك صلة وعلاقة وثيقة بين العين والقلب .

فضول الطعام :

من أسباب مرض القلب، فضول الطعام ففي الحديث: « **ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، بحسب ابن آدم آكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » (١) . وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **الصيام جُنَّة** » (٢) أي وقاية. وهذه الأحاديث جامعة لأصول الطب ، ولو استعمل الناس هذه

(١) **صحيح** : رواه الترمذي « ٢٣٨٠ » وأحمد « ١٦٧٣٥ » وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع « ٥٦٧٤ » .
(٢) **صحيح** : متفق عليه ، فقد رواه البخاري ومسلم في أكثر من حديث .

الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ، ولأن أصل كل داء التَّخَم ، فالصيام من أسباب صلاح البدن وصحته ، وقلة الغذاء توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس وضعف الهوى والغضب وكثرة الغذاء توجب ضد ذلك ، يقول ابن القيم : « ومن له أدني تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني ولا سيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه والرضا عنه » .

مضرة كثرة النوم :

ومن هذه الآفات : كثرة النوم فهي تميت القلب وتثقل البدن وتضيع الوقت وتورث كثرة الغفلة والكسل ، وعموماً فخير الأمور أوسطها وعلى العبد أن يتجنب الإفراط والتفريط ، وأن يتباعد بنفسه عن أمراض الشهوات والشبهات فهي أخطر بكثير من الأمراض العضوية ، قال تعالى ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] ، وقال سبحانه : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة:١٠] ، ﴿ ولا يُنبِّئُكَ مثْلُ خَبيرٍ ﴾ [فاطر :١٤] ،﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] ، ولنعلم أن القرآن شفاء للنوعين قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء :٨٢]، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس : ٥٧] .

ومن أصابه مرض شهوة أو شبهة فليس له أن ييأس ، بل عليه أن يتداوى ، وأن يثق في سعة رحمة الله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) ﴾ [الحديد : ١٧] .

أغذية نافعة للقلب :

ومن أعظم أسباب حياة القلب وأغذيته النافعة ، ذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ وقيام الليل ، ولا يليق بنا كمسلمين أن ننسى المعاني الإيمانية في التداوي والعلاج والأخذ بأسباب الصحة ، حتى وإن كان المرض عضوياً ، كالتحلي بالصبر

والاسترجاع والدعاء والرُّقي الصالحة ففي الحديث : « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل** »(١) .

حذر متأكد :

ولنحذر التداوي بالمحرمات كشرب الخمر وتعاطي المخدرات ومصاحبة النساء ومشاهدة الأفلام الخليعة والرقيعة بزعم علاج حالات الاكتئاب ، كما يفعل بعض الأطباء النفسانيين ، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام** »(٢) ، وقال : « **إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حَرَّمَ عليها** »(٣) ، فهيا بنا نعود لحظيرة الإيمان ففيه صلاح القلوب والأبدان والأرواح .

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ٢١٩٩ » .
(٢) صحيح : صححه الألباني في صحيح الجامع « ١٧٦٢ » .
(٣) صحيح بشواهده : رواه ابن أبي الدنيا في ذم المسكر « ١٢ » .

ثالثًا : نظافة الظاهر وعدم المبالاة بالباطن

مبررات ودواعي الاهتمام بالظاهر معلومة ومعروفة ، فالله نظيف يحب النظافة ، جميل يحب الجمال والنبي ﷺ قال : « **طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها** »(١) ، وكان النبي ﷺ يرتدي أحسن ما عنده للجمعة والعيدين ويغتسل ويتطيب ، وقد أمر سبحانه عباده فقال : ﴿ **خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾ [الأعراف :٣١] ، وقال : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، والمرأة بطبعها تميل للتجمل والتحلي ﴿ **أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)** ﴾ [الزخرف :١٨]... دلائل كثرة معلومة شرعاً وطبعاً وعقلاً وفطرة ، لذلك نجد الناس يتباعدون عن الأماكن القذرة ،

(١) حسن : رواه الطبراني في « الأوسط » وحسنه الألباني في الصحيحة « ٢٣٦ » .

ويخجلون من الظهور بثياب قذرة ، ويحرصون على إزالة البقعة السوداء من الثوب الأبيض ، وكل ذلك لا حرج فيه بإذن الله ، ولكن الحرج كل الحرج أن لا يتواكب معه اهتمام بالقلب والباطن، وأن يصير الاهتمام بالظاهر اهتماماً شكلياً يأتي على حساب الاهتمام بالنفس والروح ، وإلا فهل تباعدت بنفسك عن أماكن الفسق والفجور؟ ، فالمعاصي كلها قاذورات ، وفي الحديث : « **من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فإن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله** »(١) ، وخطر المعصية أشد وأضر من خطر البقعة السوداء أو القاذورات الحسية وذلك لأنها تؤثر في القلب وتستجلب سخط الرب في الدنيا والآخرة ، وفي الحديث : « **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** »(٢) .

---

(١) صحيح : رواه مالك في الموطأ « ١٥٦٢ » والحاكم ، وصححه الألباني « ٦٦٣ » .

(١) صحيح : متفق عليه ، البخاري « ٥٢ » . ، ومسلم « ١٥٩٩ » .

الإهتمام بالظاهر وحده لا يكفي :

لا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم ، وحياة القلب وسلامته في العمل بطاعة الله والاستقامة على شريعته والتباعد عن كل ما يغضب الله جل وعلا، فهل حرص من يستخدم المساحيق والتسريحات ويلاحق الموضات، على نظافة باطنهم وإرضاء ربهم ؟ بل مضرة هؤلاء الذين زخرفوا ظاهرهم قد تصيب الآخرين ، كحالة الكاسيات العاريات المائلات المميلات ،ويصرن فتنة للخلق، ويكون شأنهم كمن ينظف بيته ـ هذا إن فعل ـ ويلقي الأذى وقاذورات بيته في بيوت الآخرين !! وفي الحديث : « لا ضرر ولا ضرار » (١) ،ولك أن تتخيل لو كان للذنوب ريح فهل نفورك منها كنفورك من أماكن القاذورات.كان محمد بن واسع رحمه الله يقول: « لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إليَّ » ، ثم هل كان منا الحياء من ربنا وهو يرانا على معصيته كخجلنا من رؤية الناس للبقعة السوداء

---

(١) حسن لغيره : انظر الصحيحة « ٢٥٠ » .

أو الثوب المتقذّر؟!،ومن المعلوم أن الجنة والنار بيد الله وحده ليست بيد أحد سواه ،والناس لا يملكون لنا ولا لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ،ولا موتاً ،ولا حياة، ولا نشوراً ، فاتقوا الله حق التقوى وفي الحديث: « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »(١).

خلِّ الذنوبَ صغيرها وكبيرها ، فهو التُّقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وكان الإمام أحمد رحمه الله ينشد ويقول :

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ
ولكن قل عليَّ رقيب لا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفي عليه يغيب

الظاهر والباطن لديه سواء :

الله أحق أن يُستَحْيا منه من الناس ، وهو جل وعلا

(١) حسن : رواه الترمذي « ١٩٨٧ » وقال حسن صحيح ، ورواه أحمد وغيره ، وحسنه الألباني برقم « ٩٧» في صحيح الجامع .

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، والسر والعلن عنده سواء ، والظاهر والباطن لديه سواء ، ومن رحمته سبحانه بعباده أن أمرهم بكل ما من شأنه أن يحقق لهم نظافة الظاهر والباطن ، فالتوحيد طهارة لأنه اعتراف بالحق ، والاعتراف بالحق فضيلة وجحده رذيلة ، والشرك نجاسة حتى وإن اغتسل أهله بالماء ، ونظفوا ظواهرهم به ؛ ولذلك قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة : ٢٨] ، وأدنى شُعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق وفي الحديث « **الإيمان بضع وسبعون – أو ستون – شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** » (١) ، فالدين يأمر أتباعه بنظافة الظاهر والباطن، بل وتنظيف الدنيا من حولهم والحرص على طهارة الجسد والروح،وهم بذلك يستأهلون أن تنادي عليهم ملائكة الجنة وتقول: ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)** ﴾ [الزمر : ٧٣] ، فالعجب كل العجب من

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ٣٥ » .

المعاصي التي تزكم الأنوف ،والشركيات والكفريات والفلسفات والنظم الوضعية والقوانين الطاغوتية الكفرية، عندما تنبعث من أشكال مزخرفة مزينة - إن وجدت لا تتعدى ظواهرها - ثم هي بعد ذلك تزعم أنها ستصلح النفس والمجتمع، وستنشر الحق والعدل وهيهات هيهات ففاقد الشئ لا يعطيه ،وقد أُمرنا أن نسمي الأشياء باسمها ، وليست هذه النظافة التي تعلمناها من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ .

رابعًا : المحبوس من حُبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه

يجزع الناس جزعاً شديداً إذا حبست الأبدان في سجون الدنيا ، ويحزنون أشد الحزن على من أسره العدو ، ولا تكاد تُذكر كلمة الحبس والأسر إلا في هذه المعاني الضيقة ، بينما نسينا أن حبس القلب عن الرب في ظلمات الهوى والمعاصي أخطر من حبس البدن ، وأن أسر الشيطان للإنسان أعظم من أسر الأبدان طالما أن الروح تحلق في السماء والقلب يخفق بالإيمان .

تصوير شيخ الإسلام للمحبوس والمأسور :

ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية يصوغ المعاني على حقيقتها بعيداً عن قصور المادية الموحلة ويقول : المحبوس من حُبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه ،

وحين ورد الأمر بسجنه في قلعة دمشق أظهر السرور وقال : « إني كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم ، ما يصنع أعدائي بي، إن جنتي وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي لا تفارقني . إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة » ، ولما رأى أسوار السجن قال : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) ﴾ [الحديد : ١٣] .

إنه الإيمان الذي تتحرز به النفوس والقلوب حتى وإن كانت الأبدان ترسف في الأغلال والقيود ، ويكون هذا الاستعلاء الحميد: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ

مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣)﴾ [طه:٧٠ - ٧٣]
إيمان عمره لحظات ولكنه صنع الأعاجيب ، وتحررت به النفس من عبودية البشر إلى عبودية رب البشر .

سوء استخدام لفظ الحرية :

وإذا كانت الحرية أصبحت كلمة يتغنى بها الشعراء ولها عذوبة في الأفواه، ولذة في الأسماع ، ويتألم الأحرار لفقدها ، وينادي المصلحون بتحقيقها ، وتوضع المخططات للحصول عليها ، وتبذل الأمم الأموال والأرواح لحمايتها ، وتجعل اليوم الذي تحصل فيه عليها عيداً ، ويخرج هذا يقول حرية ، اشتراكية ، وحدة ، والثاني يقول : أنا حر ، أو كل إنسان حر فيما يفعل ، وذاك يؤلف في حرية المرأة ، وهذه المرأة تردد : أعطني حريتي أطلق يدىَّ .وهذا يتكلم عن أصحاب الفكر المستنير ، وأحزاب ترفع شعارات الحرية وتنادي بالديمقراطية مطالبة بالحرية الشخصية وحرية الرأي وحرية الفكر والعقيدة ، ونادي الرئيس بورقيبه وقال : « لا

بد وأن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا ونخلصها من قيود الدين» .

يرفعون شعار الحرية وهم غرقى في أسر العبودية:

ونحن ولو نظرنا لوجدنا أن دائرة العبودية التي يهرب منها البشر دائرة ضيقة، أنهم إن تخلصوا منها فقد تحرروا، وواقع الأمر ليس كذلك ،فتراهم يرسفون في قيود العبودية المقيتة وهم لا يشعرون،ويحتفلون بأعياد الحرية وهم غرقي في أسر العبودية ،فقد أصبحت العبودية التي يمقتها الناس هي التي تجعل الإنسان مملوكاً لغيره، بحيث يصبح متاعاً يباع ويشتري ولا يملك أمر نفسه، ويعد البشر من العبودية والهوان أن تستذل دولةٌ دولةً،وجماعةٌ جماعةً ، وأمةٌ أمةً، وقد يصل البغي والظلم والاستعباد والقهر إلى حد ذبح الرجال والأطفال كما صنع فرعون مع بني إسرائيل: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٤] .

عصر الخداع والتزييف :

وقد استعبدت الأمم القوية الأمم الضعيفة باسم التمدن والتحضر والأخذ بيد هذه الأمم الضعيفة ،كما حطموا دولة الخلافة العثمانية وقسموا الديار الإسلامية وفعلوا الأفاعيل في البوسنة والهرسك وفلسطين والهند وروسيا وكشمير وبورما والفلبين والحبشة ، صنعوا ذلك وهم يرددون مبادئ الأمم المتحدة التحررية !!! مثل حقوق الانسان والعدل وحق تقرير المصير والشرعية الدولة ، بل وما زال هؤلاء الأعداء يمجدون الثورة الفرنسية ، حرية ، إخاء ، مساواة ، ويرفعون شعار الإنسانية وهم يتمون هذه المذابح !!! ولا يستغرب منهم ذلك ، فهم يكيلون بمكيال واحد هو مكيال العداوة لهذه الأمة ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران :١٨٨] ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] ، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

صور العبودية الذميمة :

لقد رأينا صوراً كثيرة من صور العبودية الذميمة ، ومن ذلك عبودية الأوهام والتصورات الخاطئة ، فترى البعض تأخذه رهبة الليل ، ويبزغ القمر فيعظمه، وتشرق الشمس فتكبر في نفسه ويخضع ويسجد لها ، بل وقد يتوجه داعياً ولربما جرد سيفه وبذل نفسه وماله مدافعاً عن مثل هذه العقيدة الزائفة ، وقد أرسل الله الرسل ليخلصوا العباد من العبودية لكل مخلوق وتوجيهها لله وحده ، فلا يجوز صرف العبادة لوثن ولا لصنم ،كما لا يصح أن نجعل من المقبورين أنداداً مع الله ، بحيث نتوجه لهم بالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة والسجود وطلب المدد والبركة وسؤالهم في جلب النفع ودفع الضرر، فكل ذلك لا يجوز لا مع نبي ولا مع ولي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [الحج : ٧٣] والأنبياء والصالحون يتبرأون يوم القيامة من كل من جعلهم أرباباً مع الله وتاهت البشرية في عبودية من نوع آخر وهي عبودية المناهج والأفكار ،

فبينما رفض هؤلاء منهج الله وحكمه ارتضوا قوانين البشر ، وكل فريق يزعم أنه على الحق والهدى وأن منهجه هو الذي يحرر الانسان ، وقد حدث صراع كبير بين أتباع المناهج ،وكان ينتهي في أغلب الأحيان بحروب : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٣] . فالحكم بين العباد بيده دون سواه: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾ [يوسف : ٤٠] ، ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٦] .

معبود الجماهير :

هل تحرر هؤلاء الذين امتلأت حياتهم بالشهوات وأطلقوا على بعض الفسقة والفجرة اسم معبود الجماهير ومعبودة الجماهير؟!! ، وماذا نقول فيمن كان إلهه هواه

أو شيطانه أو امرأة يحبها أو درهماً أو ديناراً يحرص على جمعه ؟!!.

يقول تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) ﴾ .

[الفرقان: ٤٣-٤٤] .

وقال سبحانه حاكياً عن إبراهيم: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) ﴾ [مريم :٤٤] ، وقال النبي ﷺ: « **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة** (١) **، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا نتقش** (٢) » (٣) .

حينئذ فقط نتحرر :

إن الإسلام جاء ليحرر العباد من عبودية العباد إلى

---

(١) نوع من الثياب لونها أحمر أو أسود .
(٢) يدعو عليه ﷺ إذا أصابته شوكة ألا يجد من ينقشها أي ينزعها منه .
(٣) صحيح : رواه البخاري « ٢٨٨٧ » بلفظ قريب .

عبادة الله وحده ، كما قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس عندما سأله من ابتعثكم فأجابه ربعي : «بعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » . ولا يتم التحرر إلا بتحرير قلب العبد من الخرافات والخزعبلات والأساطير والشركيات ، وامتلاء النفس بمعاني الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وحلوه ومره ، وإخلاص الأمر كله لله : ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر: ٢-٣] .

والإخلاص هو: معنى لا إله إلا الله وبتحقيقه يحقق العبد العبودية لله ربه ومولاه ،كما لا بد من تحرير القلب من الآلهة المزيفة والطواغيت والظلمة، وإلا فهؤلاء يحالون في كل عصر أن يغرسوا في قلوب العباد الرهبة من أوليائهم وأندادهم، ورائدهم في ذلك الشيطان فهو يخوف عباد الله المخلصين من أوليائه الضالين : ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ**

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .
[آل عمران: ١٧٥] .

فلا بد من التوكل على الله، يقول تعالى عن صحابة نبيه يوم حمراء الأسد: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤] .

وعلينا أن نتربى ، ونسعى في تربية غيرنا على المفاهيم الإسلامية والعزة الإيمانية بعيداً عن اللوثة المادية الطاغية ، وإلا فمن كان الله معه فمن عليه ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ؛ ولذلك لما سمع خالد بن الوليد رجلاً قبل معركة اليرموك يقول : « ما أكثر الروم وأقل المسلمين » ، صاح فيه خالد وقال : بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين» وكان خالد يقول لأعدائه: « جئناكم

بقوم أحرص على الموت منكم على الحياة » .

أين الإيمان المبصر ؟! :

وما توالت الهزائم على هذه الأمة إلا يوم وجهنا الوجوه إلى روسيا وأمريكا ومجلس الأمن وهيئة الأمم ، حين ضلت هذه الأمة عن دينها سلطت عليها سيوف أعداء الله المجرمين، نحن اليوم بحاجة إلى إيمان مبصر يُغرس في القلوب بحيث يحررها من العبودية للطواغيت والأصنام حجراً كانت أم بشراً ، وأن نعلم أن قوة أخرى غير قوة الدول العظمى هي التي تحدد مسار المعارك والحروب ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقال : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (٨٢) ﴾ [يس : ٨٢]. إن الحرية في الإسلام تقرر في صورة العبودية ، أن تكون عبداً لله وحده في توجهات قلبك وعقائدك ومسار فكرك وفي أقوالك وأفعالك ، وفي القوانين التي تهيمن عليك وعلى المجتمع، فالتحرر الحقيقي

- يعني الخضوع لله وحد ، وأخذ منهجه دون سواه ، والتحاكم إلى شرعه دون بقية الشرائع - وعليك أن تعلم أن الحريات التي يتشدق بها الناس الآن في هذا العصر إنما هي العبودية للمخلوقات في نظر الإسلام ، واعتبروا بما يسمى بالديمقراطية ، وهي قمة الحرية في نظر أصحابها ولو تحققت لتحقق معها عبودية البشر للبشر وتأليه البشر للبشر ، إن معنى ذلك إباحة الربا والزنى واللواط والخمور والعري والخلاعة والمجون ، فكل شئ في مفهوم الدول الديمقراطية قابل للنظر والتغيير (*) ، إن البشر حين يرفضون عبودية الله فسيعدون أنفسهم لا محالة إلى مخلوقات مساوية لهم أو أقل منهم شأنا لا تضر ولا تنفع بل قد لا تبصر ولا تسمع : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) ﴾ [النمل : ٥٩] .

(*) راجع كتابنا « الديمقراطية في الميزان » ، من مطبوعات دار الإيمان بالإسكندرية .

سلاح الإيمان أمضى من كل سلاح :

قصَّ النبي ﷺ على أمته قصة الدجال ، وبيَّن أنه سيمكث أربعين يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كأسبوع وسائر أيامه كأيامكم ، وكيف أنه خارج خلة (١) بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً ، وأمرنا أن نقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، ولما قال الصحابة له : يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال : « **لا أقدروا له قدره** » ، وأمر أمته فقال : « **يا عباد الله فاثبتوا** » (٢) ، كما وضح لأمته كيف يهلك ربنا يأجوج ومأجوج ببركة دعاء المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ثم يدعو عليهم مرة ثانية فيرسل الله مطراً يجرفهم إلى البحر بعد أن تجوى (٣) الأرض من نتن ريحهم.والأحاديث في هذا المعنى كثيرة عند مسلم وغيره ، فهل يليق بنا بعد ذلك أن

---

(١) طريق بينهما .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم « ٢٩٣٧ » وهو حديث طويل في كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(٣) تمتلئ برائحتهم .

نستهين بالمعاني الإيمانية كالصبر والتوكل والدعاء والصلاة، وهل النصر لا يتم إلا بسلاح وعتاد؟! وحتى لو كان الأمر كذلك - جدلاً - فماذا يفعل العباد حال استضعافهم ولا مقدرة عندهم على امتلاك السلاح والعتاد ؟! وهل تستبعدون أن ينصرهم ربنا عز وجل على الرغم من استضعافهم ، إن ارتبتم فراجعوا ما ذكرناه أو راجعوا إيمانكم .

حققوا ما أمركم ينجز لكم ما وعدكم :

إن وعد الله لا يتخلف عن عباده : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [غافر : ٥٥] ، فإن تحققنا بما أمرنا سبحانه به من الصبر والاستغفار ، أنجز لنا وعده الحق ، حتى وإن كنا مستضعفين في الأرض ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾[آل عمران: ١٢٠] ، فمع الصبر والتقوى لا يضرنا كيد العدو وإن كان ذا تسليط ، فالتعرف على العوائق الخارجية لا ينبغي

أن يشغلنا عن عوائق النفس وإقامتها على معاني الإيمان ، وإلا فالناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة [1] : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨] ، ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [يوسف:٥٣] ، وقد حذرنا سبحانه فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ [الحشر:١٩] ،ونحن لو فتشنا في أنفسنا لوجدنا الكثير مما يخالف شرع الله ، وأقل القليل من المعاصي كافٍ في استمطار البلاء وتسلط الأعداء وتأخير النصر والتمكين: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾ [الشورى : ٣٠] فلنتهم أنفسنا فهي حَرِيَّة بكل شر وسوء .

---

(١) قد كثُر الناس ولكنها كثرة كغثاء السيل لا نفع فيها إلا قليل كقلة الناقة الجيدة بين الإبل .

خامساً : أفراح أم أحزان ؟

لقد ضبط هذا الدين لأهله مشاعرهم وأحاسيسهم ، متى يفرحون ومتى يحزنون ؟! بل وكيف يظهرون فرحتهم وحزنهم ؟! ، فليس هو دين الكآبة والحزن ، وليس لهم أن يتلفتوا من أوامر ربهم بزعم استدخال السرور على نفوسهم ونفوس الآخرين ، كما يصنعون في مناسبات الزواج وغيرها ويسمون ذلك فرحاً .

مخالفات شرعية تحدث فى الفرح :

وفيه تختلط النساء بالرجال وتشرب الخمور والمخدرات والدخان، وترقص النساء ، ويغني الرجال ، ويعزف بالمعازف، وتتعرى النساء ويكشفن عن عوراتهن ، هذا بالإضافة لمصافحة الرجال والنساء الأجنبيات ، وإلباس الرجل لمخطوبته الشبكة ودبلة الخطوبة، وقيامها بالرقص أمام المدعوين أحياناً،

وقيام الناس بالتصفيق والصفير ، وفي مثل هذه المناسبات تستأجر المسارح والفنادق وفرق الرقص والغناء وتقام الزينات وتذهب العروس إلى حلاق السيدات « الكوافير » لتزيينها وتصفيف شعرها ... كل هذا يحدث في يوم واحد نبدأ به زواجنا ونطلق عليه اسم الفرح .

كيف نفرح بمعصية الله ؟!!! :

كان الواجب علينا أن نحزن لأقل القليل مما يقع ، فكيف إذا انضاف واجتمع وأصبح نمطاً سلوكياً عند الأعم الأغلب من الناس ، لا يستطيعون تركه أو الخلاص منه ، وترى طائفة من هؤلاء أن مثل هذا الفجور يُغتفر لهم ويُعفي عنه في مثل هذه المناسبات ، وإن لزم الأمر توبة ، فهم سيواقعونه ثم يتوبونه منه بعد فعله !!!!! أليست هذه صورة من صور الطغيان المادي المعاصر الذي أنسانا ربنا وديننا وأنفسنا ، وأليست هذه أحزاناً ، من باب تسمية الأشياء باسمها ، وإلا فكيف نفرح بالمعصية وكيف تظهر فرحتنا بالفسق والفجور ومبارزة الله بالحرب ، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا**

نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥) ﴾ .

[الأنعام : ٤٤-٤٥] .

صور من الفرح المذموم :

ذكر سبحانه صوراً من الفرح المذموم أدى بأصحابه لمخالفة أمره جل وعلا فقال : ﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع (٢٦) ﴾ [الرعد : ٢٦] ، وقال : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ [غافر : ٨٣] ، وقال عن قارون : ﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين (٧٦) ﴾ [القصص: ٧٦] وقال سبحانه : ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق ﴾ [غافر: ٧٥] ،وقال عن المنافقين في انصرافهم عن الجهاد : ﴿ ويتولوا وهم فرحون (٥٠) ﴾ [التوبة :٥٠]، وقال : ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل

حزب بما لديهم فرحون (٥٣) ﴾ [المؤمنون : ٥٣] ، وقال عن التفرق المذموم: ﴿ وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون (٣٢) ﴾ [الروم : ٣٢] ، وقال أيضاً عن المنافقين : ﴿ وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ [آل عمران : ١٢٠] ، وقال : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ [آل عمران : ١٨٨] ، وقال مصوراً حالة الإنسان إذا انقشع البلاء عنه : ﴿ ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠) ﴾ [هود : ١٠] .

الشرع يحض على حجاب المرأة وعدم اختلاطها بالرجال :

فقد أمر المرأة بالصيانة والتحفظ والتحجب والتستر والتباعد عن أماكن الرجال ، فالمرأة مأمورة بتغطية جسدها حتى قدمها ، وفي الحديث : « **المرأة عورة** » ، ولما قيل له فكيف تصنع النساء بذيولهن قال : يرخينه شبراً ، قيل : إذاً

تكشف سوقهن ، قال : يرخينه ذراعاً لا يزدن عليه وهي تطوف حول الكعبة من خلف صفوف الرجال ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وفي الحديث : « **خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها** » (١) ، وقد نهاها الشرع عن الخوض بقولها أو الضرب برجلها إظهاراً لزينتها فقال سبحانه : ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ [الأحزاب: ٣٢] ، وقال : ﴿ **وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ﴾ [النور : ٣١] ، ولا يجوز أن تسافر سفراً اصطلح عليه العرف وصف سفر إلا مع زوج أو محرم ، وقد أمرت بستر زينتها عن الرجال الأجانب: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** ﴾ [النور : ٣١] ، ولا يحل للرجل أن يصافح المرأة الأجنبية ، ففي الحديث: « **لأن يطعن أحدكم في رأسه بمخيط من حديد**

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ٤٤٠ » وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[(١)] ، وقد ذكرت أم المؤمنين أن النبي ﷺ لم يبايع النساء إلا كلاماً وما مست يده يد امرأة.

حرمة تعاطي المخدرات والدخان :

ولا يحل تعاطي المخدرات ، والهيروين أضر من الحشيش . وكلاهما أشر من الخمر ، وقد علمتم كيف لعن في الخمر عشرة ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] ، بل الدخان أيضاً من جملة الخبائث المحرمة ، وهو ضار بالصحة وقد كتبت عليه شركات إنتاجه « ضار جداً بالصحة » وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار »[(٢)] .

النهي عن التصفيق والصفير :

وفي تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] ، قيل أي تصفيقاً ، والإنسان إذا نابه شئ في صلاته تصفق النساء

---

(١) صحيح : راجع الصحيحة « ٢٢٦ » .
(٢) صحيح : رواه ابن ماجه « ٢٣٤١ » ، وأحمد « ٢٨٢٦ » والحديث صححه الألباني في الصحيحة « ٢٥٠ » .

ويسبح الرجال ، وتصفيق النساء يكون بأن تضرب بباطن كفها على ظهر كفها الثانية ، وقد حذر سبحانه فقال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) ﴾ [الإسراء : ٣٧] ، فلا يجوز للرجل أن يرقص ، وقد حذر الشرع من مشية الاختيال إلا في الحرب .

صور التبذير والسفه في أفراحهم :

لا يجوز التبذير والسفه والسرف ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الإسراء : ٢٦- ٢٧] ، فإنه يحجر على الإنسان في نفقة الدرهم في حرام حتى وإن كان غنياً ، وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: « **إن إبليس لما أُنزل إلى الأرض قال : يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً قال : الحمام ، قال : فاجعل لي مجلساً قال : الأسواق ومجامع الطرق، قال : فاجعل لي طعاماً قال : كل ما لم**

يذكر اسم الله عليه قال : فاجعل لي شراباً ، قال : كل مسكر ، قال : فاجعل لي مؤذناً ، قال : المزمار ، قال : اجعل لي قرآناً قال: الشعر ، قال : اجعل لي كتاباً ، قال: الوشم، قال : اجعل لي حديثاً : قال : الكذب ، قال : اجعل لي رسلاً، قال: الكهنة ، قال : اجعل لي مصائداً ، قال : النساء » (١) .

الإمام ابن القيم وكلام قيم يتعلق بالأفراح :

قال الإمام ابن القيم (٢) : وشواهد هذا الأثر كثيرة فكل جملة منه لها شاهد من السُّنَّة أو من القرآن، ثم قال : وكون المزمار مؤذنه في غاية المناسبة ، فإن الغناء قرآنه والرقص والتصفيق هما المكاء والتصدية صلاته ، فلا بد لهذه الصلاة من مؤذن وإمام ومأموم، فالمؤذن: الزمار،

---

(١) في سنده ضعيف ، ففيه على بن يزيد الألهاني وهو ضعيف ، والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب مكائد الشيطان « ٤٣ » ، والطبراني في الكبير « ٨٧٣٧ » وغيره . وأورده الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه « إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان » .

(٢) نقلاً من كتاب « إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان » .

والإمام المغني ، والمأموم الحاضرون ، وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال : « خرج النبي ﷺ مع عبد الرحمن بن عوف إلى النخل فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه ، فوضعه في حجره ففاضت عيناه ، فقال عبد الرحمن : تبكي وأنت تنهى الناس ، فقال : إني لم أنه عن البكاء وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عن مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة وهذا هو رحمة - أي البكاء - ومن لا يرحم لا يُرحم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك أشد من هذا ، وإنا بك لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب » (١) .

أقوال العلماء في تحريم الغناء :

حكى أبو عمر بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشبابة فقال في فتاويه : وأما

---

(١) **حسن لغيره** : رواه الترمذي « ١٠٠٥ » وقال : هذا حديث حسن ، وحسنه الشيخ الألباني في كتابه تحريم آلات الطرب « ص ٥١ » .

إباحة هذا السماع وتحليله فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاجتماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين ، ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله في الإجماع والخلاف أنه أباح هذا السماع ... إلى أن قال : « مع أنه ليس كل خلاف يستروح إليه ويعتمد عليه ، ومن يتتبع ما اختلف فيه العلماء أو أخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد » أ .هـ،وقد حكم الأكثرون من العلماء بخطر وحرمة الغناء لأنه ينبت النفاق في القلب ، قال عبد الله بن الإمام أحمد سألت أبي عن الغناء فقال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، وقال : لا يعجبني . ثم ذكر قول الإمام مالك رحمه الله إنما يفعله عندنا الفساق ، قال عبد الله: وسمعت أبي يقول : سمعت يحيى القطان يقول : لو أن رجلاً عمل بكل رخصة : بقول أهل الكوفة في النبيذ وقول أهل المدينة في السماع وأهل مكة في المتعة لكان فاسقاً ، وقال سليمان التيمي : لو أخذت برخصة كل عالم وزلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله .

ما ورد فى إغاثة اللهفان :

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان: قد تواتر عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال : خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن ، فإذا كان هذا قول الشافعي في التغبير وتعليله له أنه يصد عن القرآن وهو شعر مزهد في الدنيا يغني به مُغنٍّ ويضرب الحاضرين بقضيب على نطع أو حجرة على توقيع غناه ، فليت شعري ما يقول في سماع التغبير عنده [١] كتفلة في بحر قد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم ، فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون وعابد جاهل ، قال سفيان ابن عيينة : كان يقال : احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون. أ. هـ .

القانون المصري حتى ١٩٣٨ يرد شهادة المغني والممثل:

وإذا كان هذا هو قول الإمام ابن القيم عن الغناء في

---

(١) بالمقارنة لما وجد في عصر ابن القيم من المعازف ونقول نحن فكيف لو رأى ما في زماننا ؟!! .

عصره وأنه قد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم ، فماذا كان يقول عن الغناء الفاحش والماجن وكلمات العشق والهيام التي تنبعث من المخانيث أشباه الرجال وهم ليسوا رجال الذين يطلق عليهم وصف المغنيين والمطربين والفنانين ، كما تنبعث من متهتكات فاجرات متبرجات على أعين الملأ وبمصاحبة الموسيقى الصاخبة التي تشبب[1] النفوس وتدعو لمواقعة الفواحش وتهيج الكوامن ، ووسط اختلاط مريب ، ومع مصاحبة الكأس والرقص ، لقد حكم الأئمة برد الجارية المغنية بالعيب ، وردوا شهادة المغني وفسقوه ، وأطلقوا على المغنين وصف المخانيث ، بل كان القانون المصري حتى سنة ١٩٣٨م يرد شهادة المغني والممثل ، ثم تبدل الحال وتغير !! .

أين هذا الفحش من غناء الجارتين وإنشاد الصحابة ؟ :

ولا يجوز لأحد أن يستدل بغناء الجارتين

---

(١) تهيّج .

«الصغيرتين » للسيدة عائشة ﵂ يوم العيد بغناء بُعاث «وهي الحرب التي دارت بين الأوس والخزرج » وماكان فيهما من شجاعة وكرم ، ولا أن يستدل بإنشاد حسان ابن ثابت وبإنشادهم يوم الخندق .

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لقينا
إن العدا قد بغوا علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا

فالإنشاد حسنه حسن وقبيحه قبيح ، والفارق كبير وواضح بين هذه الكلمات الطيبة في موطنها ،وبين الفحش والتفحش الذي امتلأت به حياتنا .

كلام نافع ومفيد في كتاب غذاء الألباب

قال صاحب كتاب غذاء الألباب ما نصه : تنبيهات :

جزم الإمام المحقق ابن القيم في إغاثة اللهفان بحرمة الغناء وقال : إنه من مكائد الشيطان ومصائده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين ، وقال : إنه المكاء والتصدية ومراده والله أعلم بهذه العبارة حيث اقترن بآلة لهو محرمة بدليل قوله من مكائد الشيطان الغناء بالآلات المحرمة التي تصد القلوب عن القرآن وتجعلها عاكفة على الفسق والعصيان ، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن وهو رقية اللواط والزنا ،وبه ينال العاشق غاية المنى، فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات وعكفت قلوبهم بكليتها عليه وانصبت انصبابة واحدة إليه ،

لرأيت أمراً تقشعر منه الجلود ، ويتعدى الشرائع والحدود ، فلغيـر الله بل للشيطان قلوب هناك تمزق وأثواب تشـقق وأموال في غير طاعة الله تنفق ، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله وبلغ الشيطان منه أمله واستفزهم بصوته وخيله وأجلب عليهم بخيله ورجله ووَخَزَ في صدورهم وَخْزاً وأزهَّم، إلى ضرب الأرض بالأقدام أزّاً فطَوْراً جعلهم كالحمير حول المدار وتارة كالذباب يرقص وسط الدار ، فيا شماتة أعداء الإسلام . بالذنب يزعمون أنهم خواص الأنام « يقصد بذلك الصوفية وما يفعلونه من رقص وغناء » قضوا حياتهم لذة وطرباً واتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن الكريم ، فلو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى أخره لما حرك له ساكناً ، ولا أزعج له ظاهراً ولا باطناً ، ولا أثار فيهم وجداً ولا قدح فيهم من لواعج الشوق إلى الله زنداً ،حتى إذا تُلِيَ عليهم قرآن الشيطان وولج مزموره أسماعهم فُجِّرَت ينابيع الوجد من

قلوبهم على أعينهم فجرت وعلى أقدامهم فرقصت، وعلى أيديهم فصفقت،وعلى بقية أعضائهم فاهتزت وطربت وعلى أنفسهم فتصاعدت ،وعلى زفراتهم فتزايدت ، فيا أيها الفاتن المفتون البائع حظه من الله بصفقة خاسر مغبون، هلا كان هذا الامتحان عند سماع القرآن، وهذه الأذواق والمواجيد عن قراءة القرآن المجيد، ولكن كل امرئ يصبوا إلى ما يناسبه،ويميل إلى ما يشاكله ويقاربه....قدراً وشرعاً ، والشكل سبب الميل عقلاً وطبعاً ، فمن أين هذا الإخاء والنسب ؟! لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان، وعهد الرحمن خللا ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ﴾ ؟!! [الكهف:٥٠].

فساد الإنتهاء من فساد الإبتداء :

فبالله عليك هل وجدت أفراحهم وإن شئت أن تصحح التعبير قلت: أحزانهم تنفك عن مثل هذا العبث والضياع ؟

في الوقت الذي كان يجب أن يشكروا نعمة ربهم عليهم ، ويصونوا هذه النعم عن الإسراف والحرام وكل ما يغضب الرحمن ، وأن يبدأوا حياتهم الزوجية بطاعة ربهم ، وإلا ففساد الانتهاء من فساد الإبتداء والعبد إذا فسدت بدايته فسدت نهايته ، وإذا فسدت نهايته فربما هلك إلا أن يتوب ومعظم النار من مستصغر الشرر .

تعلموا أمر ربكم حتى تسعدوا :

ما الذي يمنعهم من أن يُتموا هذه المناسبات في المساجد وسط تلاوة القرآن وذكر الله ؟ وما الذي يمنعهم من أن يتعلموا أمر ربهم ؟! ، وأن الخطبة مجرد وعد بالزواج وليست بزواج ، والعلاقة فيها بين الرجل والمرأة علاقة أجنبي بأجنبية ليس أكثر ، فلا يجوز للرجل أن يلبس مخطوبته الدبلة ، ولا ينظر إليها بعد ما نظر فقد عادت الحرمة كما كانت ، وما الذي يمنعنا من أن نتعلم مَن الذي نختاره زوجاً لنا ، وإلا فالمرء على دين خليله ،

والنكاح رق فلينظر أحدكم عند من تُسْتَرق كريمته ، فلا بد أن يكون تقياً نقياً ، وأن تكون هي ذات دين إن نظر إليها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته في ماله وعرضه وتكون المعاشرة بالمعروف ، فهو يتقي الله فيها وهي تتقي الله فيه ، ما الذي يمنعنا من أن نتعلم ذلك وغيره حتى ننتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام ؟ ، وتكون دنيانا وأخرانا أفرحاً بإذن الله .

سادساً : كم من مريد للخير لم يبلغه وكم من طالب للسعادة لم يحققها

دخل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسجد الكوفة فوجد الناس متحلقين حلقاً وفي وسط كل حلقة كومة من الحصى وعلى رأسهم رجل يقول : سبحوا مائة فيسبحون ، احمدوا مائة فيحمدون ، كبروا مائة فيكبرون ، فقال : والله لأنتم على ملة هي أهدى من ملة رسول الله ﷺ أو مفتتحوا باب الضلالة، فقالوا والله يا أبا عبد الرحمن أردنا بهذا إلا الخير، فقال : وكم من مريد للخير لم يبلغه »(١) .

إذ لا يكتفي بالنوايا الطيبة ، بل لا بد من صحة العمل، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠]، فإذا كان

(١) راجع القصة كاملة في الصحيحة « ٢٠٠٥ »

العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً وصواباً ، والخالص ما كان ابتغاء وجه الله ، والصواب ما وافق سُنَّة رسول الله ﷺ .

وما يزال قول ابن مسعود رضي الله عنه يصلح ويخطأ وتذكيراً لطلاب السعادة ـ وما أكثرهم ـ الذين طلبوا السعادة من غير مظانها وأخطأوا طريقها ، بل وكان سعيهم سبباً في تحصيل التعاسة والشقاء ، فما من عاص أو كافر إلا وهو ينشد السعادة ، وقد تتحقق له لذة ولكنها لذة ساعة وألم دهر .

إن الفتاة التي تختلط بالشباب في الدراسة وأماكن العمل وتتبرج وتبرز زينتها وتسعى في تحصيل الشهادة والمال على حساب دينها ثم تتزوج من تارك صلاة ومتجاهر بفسق وفجور ولكنه غنياً وسيماً أو صاحب منصب وسيارة ، إن هذه الفتاة تبغي الخير وتنشد السعادة وهيهات أن يتحقق لها ذلك ، فقد خالفت أمر خالقها وتعدت شرع ربها ، ولذلك

لا بد وأن تنقلب هذه الأسباب نكداً أو شقاءً ، فالحجاب فريضة والاختلاط إثم ، ومعظم النار من مستصغر الشرر ، ومن ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع ، والكفاءة معتبرة بالديانة والفلاح والحرص على الطاعة ، ومن زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها ، والشهادة والمال احترقت به النفوس ولم تحصن به المستقبل ولم تطمئن به القلوب .

وهذا الذي طالع الصور المحرمة ، ولم يغض بصره عن النساء لربما سولت له الشياطين أنه سيشبع ويسعد بذلك ، فلم يجن إلا خراب القلب بعد أن تخربت العين ، فالحلاوة لا يذوقها إلا من كفكف بصره عن الحرام ، والحاكم الذي بنى المصانع وشيد الطرق واستحدث النظم وألّف الدساتير والمناهج ورضي بالفلسفات وحكم بغير شرع الله ، هل سَعِد بذلك أو أسعد شعبه ؟ من أرد أن يعرف الإجابة فلينظر في قصة عاد وثمود وفرعون ... إن ربك لبلمرصاد لكل من كفر به وأَضاع الأمانة وخان الرسالة ، فالعمران

يزول ويبدد بسبب الذنوب والمعاصي ، والخلافة والإمامة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به .

إن الدنيا لم تسعد بالأمم المتحدة ومنظماتها ومقرراتها المخالفة لدين الله بل صارت الحياة أشبه بغابة يفترس القوي فيها الضعيف ، ويسعد هؤلاءعلى حساب تعاسة أولئك وتنفرد أمريكا واليهود بإقامة النظام العالمي في وقت غابت فيه معاني الحق والعدل،وصار المسلمون في ذيل الأمم أو كاليتيم على موائد اللئام، وهم أحق الخلق بإقامة نظامهم العالمى، ولكن تخلفوا عن دينهم فكان الشقاء والنكد ولحقتهم التعاسة لما ساروا في ركب المغضوب عليهم والضالين .

لقد أرادت الأحزاب والفرق والأفراد والجماعات والدول الخير ، وطلبوا السعادة لأنفسهم وربما لغيرهم ، وكان الواجب عليهم أن يعلموا أن كل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ ، فالسعادة الحقة تكون بالاستقامة على

معاني الشهادة التي دخلنا بها في دين الله ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨) ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] .

لقد جربنا كل ضياع ، فما جنينا إلا النكد ، ولن نقول جربوا شرع الله ، فدين الله لا يُجرّب ، ولكن سنقول ارجعوا إلى أمر خالقكم وعضوا عليه بالنواجذ ، ففي ذلك سعادتكم في الدنيا والآخرة ، واعلموا بدينكم وخذوا ما آتيناكم بقوة ، وتحققوا بمثل ماكان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، حتى تكونوا من الطائفة الظاهرة الناجية المنصورة

فكل خير في اتباع من سلف[1]

وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ ديناً فليس باليوم دينا ، ولن يصلح

---

(١) السلف هم الصحابة وهم من تابعهم بإحسان من سائر قرون الخيرية وأئمة الدين العدول وهؤلاء هم اسوتنا وقدوتنا في فهم الكتاب والسنة ، لا طوائف الضلالة كالخوارج والشيعة والمعتزلة وغلاة الصوفية .

آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وما انصلح أول هذه الأمة إلا بالاستقامة على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله ﷺ فاهتف وقل : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ . [طه : ٨٤] .

الخاتمة

الخاتمة

اللهم اختم لنا بالسعادة أجمعين

نسعد بإذن الله عندما تتفتح أمامنا أبواب الأمل ونتذكر قول ربنا جل وعلا ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)** ﴾ [الانشراح : ٥-٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق : ٧] ، وفي الحديث : « **واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا** » (١) .

نسعد بإذن الله عندما نقدم حُسن الظن ونحمل الناس على أحسن محاملهم ، ونعرف أن الأصل في الناس البراءة لا الإتهام ، ونتذكر قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢] .

نسعد عندما ننظر لمن هو دوننا في الدنيا ولمن هو فوقنا

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني .

في الدين ففي الحديث « انظروا إلى من هو أسفل منكم - أي في متاع الدنيا - ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم »[(١)] ، ولما جاء خباب إلى رسول الله ﷺ وكان متوسطاً بردة في ظل الكعبة وقال له : ألا تستنصر لنا ؟ ، ألا تدعوا لنا ؟ ، فقال ﷺ : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا لأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »[(٢)] .

نسعد بطاعة الله وتقواه سبحانه في السر والعلن والغضب والرضا ونتذكر قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري .

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ [النحل : ٩٧]، فجاهد نفسك على الاستقامة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وإذا أوذيت فاصبر واحتسب وواجه الإساءة بالإحسان ، فلا أفضل ممن أطاع الله فيمن عصى الله فيه ، ولا تسمع عن الناس ولكن اسمع منهم واعلم أن من نمَّ لك نمَّ عليك ، واحذر المغّتابين ، آكلي لحوم البشر ، وتباعد بنفسك عن قرناء السوء فهم كنافخ الكير ولا تقعد في مجالس الرقص والغناء والفحش ، فهي هلكة في الدنيا قبل الآخرة .

نسعد بإذن الله عندما يكون عملنا في الأرض ونظرنا في السماء ، وأن تعلم أن رضي الخلق غاية لا تدرك ، وأن رضى الله أيسر من ذلك بكثير ، وليس معنى ذلك أن ندخل في عدوات مع الناس ، ولكن مع تمني الكمال والأخذ بأسباب ذلك ، فلا داعي لنسيان السنن ، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون والناس بشر يصيبون

ويخطئون وليسوا ملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، فارفق بمن تتعامل معه من الأصدقاء والجيران والزوجات وعموم المسلمين ، ففي الحديث « **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر**» [١] ، فاحذر الخيانة في التعامل فهي نكد وشقاء .

نسعد عندما نهرع إلى الصلاة وتلهج ألسنتنا بذكر الله، ونستمطر السعادة ونستدفع الكرب والشقاء بدعوات صالحات ، وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال** » [٢] .

وفي الحديث: « **ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال : « اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو**

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أحمد والشيخان .

لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً » (١) .

وتذكر قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ . [الحجر : ٩٧ - ٩٩] .

وبالجملة نسعد إذا عملنا بطاعة الله وتجنبنا أسباب الشقاء ، فالوقاية خير من العلاج ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ـ لسعد بن وهيب ـ خال النبي ﷺ وصاحبه : ياسعد ليس بينكم وبين الله نسب أنتم عباده وهو ربكم ، تنالون ما عنده بطاعته ، وكتب لأبي عبيدة يقول له : إنا

---

(١) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني .

كنا أذل قوم فأعزنا الله بهذا الدين فمهما نطلب العز في غيره أذلنا الله .

فهذا هو طريق السعادة فاطلبوه ، وتحققوا به واعلموا أنه لن يتم لكم ذلك إلا بالله فاستشعروا ضعفكم وفقركم وعجزكم واعلموا أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

فهرس

فهرس

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

قصة موسى والخضر

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي

فاكس: ٥١١٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

قصة صاحب يس

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩

دار القمة
توزيع الكتاب والشريط والسي دي
فاكس: ٥٤٥١٧٦٩ ت: ٥١٢٢٠٠٢

العصر للطباعة

فاكـــس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمـول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨٠